مكتبة الأسرة الروائع

الأعمال الكاملة

شاعر الجندول

علي محمود طه

الهيئة المصرية العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ عبد العليم القباني

الإسكندرية

أجمل ما كتب شاعر الجندول



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العربى)

أجمل ما كتب شاعر الجندول
علي محمود طه

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

أجمل ما كتب شاعر

الجندول

على محمود طه

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديـــــم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يألف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولمن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتّاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وُلد عنده – كما يقول شوقى ضيف **(الأدب العربى المعاصر فى مصر)** «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وآثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق - وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثالاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التى تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى **حديث الأربعاء** فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيأ له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأفى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٧/١١/١٩٤٩) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التى تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم فى صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التى شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلىّ حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حدّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتى تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدّ فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (**حديث الأربعاء** – ص ١٤٦) – وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأول وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقى مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر - انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقى ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم المأثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة - كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الأدب** (ص٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة - التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداء من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (**قضايا جديدة فى الأدب الحديث**) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ - فلسطين

أخى ، جـــاوزَ الظَّالمونَ المَدَى

فـــحقَّ الجـــهـــادُ ، وحَقَّ الفِدا

أنتــركــهُمْ يَغْــصـــبــونَ العُروبةَ

مـــجـــدَ الأبوَّةِ والســـؤددا ؟

وليـســوا بِغَيْرِ صليلِ السيـوفِ

يُجـيـبـونَ صـوتاً لنا أو صـدى

فــجــرِّدْ حــســامَكَ من غــمــدهِ

فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغْــمــدا

* * *

أخى ، أيُّهـــا العـــربىُّ الأبىُّ

أرى اليــومَ مــوعــدَنَا لا الغَدا

أخى ، أقــبلَ الشــرقُ فى أمَّةٍ

تردُّ الـضَّلالَ وتُحـــيـى الهُدَى

أخى ، إنَّ فى القدسِ أختاً لنا

أعَدَّ لهـــا الذَّابحـــونَ المُدى

صــبــرنا على غَدْرِهِمْ قــادرينَ

وكـنـا لَهُمْ قَدَراً مُرصــــــــدا

طَلَعْنا عليـــهمْ طلوعَ المنونِ

فطاروا هَبـاءً ، وصــاروا سُدَى

أخى ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ

لنحمى الكنيسةَ والمسجدا

أخى ، قُمْ إليها نشقُّ الغمارَ

دماً قانياً ولظى مرعدا

أخى ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ

فأوردْ شبَاها الدمَ المُصْعدا

أخى ، إن جَرَى فى ثراها دمى

وشبَّ الضرامُ بها موقدا

ففتِّشْ على مهجةٍ حُرَّةٍ

أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العدِا

وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ

جلاها الوَغَى ، ونماها النَّدى

وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها

دعا باسمِها اللهَ واستشهدا

فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ

وجلَّ الفدائى والمُفتدى

فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ

فإمَّا الحياة وإمَّا الرَّدى

٢ – مصر

هَوىً لكِ فيهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ

فَديتُك ! هل وراءَ الموتِ حُبٌّ ؟

فديتُكِ مصرُ ، كلُّ فتىً مشوقٌ

إليكِ ، وكلُّ شيخ فيكِ صَبُّ

ويحلمُ بالفِدَى طفلٌ فطيمٌ

وكلُّ رضيعةٍ فى المَهْدِ تحبُو

أراكِ و أينما وليتُ وجهى

أرى مهَجاً لوجهكِ تَشْرئبُّ

وأرواحاً عليكِ محوِّمات

لها فوقَ الضِّفافِ خُطىً ووثْبُ

عليها من دَمِ الغادينَ غارٌ

له بيديكِ تضفيرٌ وعَصْبُ

حَمَتْكِ صدورُها يومَ التَّنادى

ووقَّتْكِ الليالىَ وهىَ حَرْبُ

إذا رامتكِ عاديةٌ وشقَّتْ

فضاءَكِ غيلةٌ ورماكِ خَطْبُ

دَعَتْ بالنَّهرِ فَهْوَ لَظىً ووقْدٌ

وبالنَّسمات فهى حصىً وَحصْبُ

وبالشـجـرِ المنوَّرِ فـهـو غـيلٌ
وكلُّ غُصـــونِهِ ظُفــــرٌ وخِلْبُ

حـقـائقُ عن يدِ الإيمـانِ ترمى
صــواعقَ وَمْضُهـا رُجْمٌ وشُهْبُ

لهـا فى مـهـجـةِ الجـبَّارِ فَتكٌ
وفى عــينيــهِ إيمــاضٌ وسكْبُ

صَنائعُ كــــالغـنـائيَّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويلْقِى السمعَ غَرْبُ

✍ ✍ ✍

٣ - أغنية الجندول

فى كَرنڤال ڤينيسيَا

أين منْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

أينَ عُشّاقُكِ سُمَّارُ الليــــــالى

أين من واديكِ ، يا مهدَ الجمالِ

موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنڤــال

وسُرَى الجُندولِ فى عَرْضِ القنالِ

بين كأسٍ يتشهّى الكرمُ خمرَهْ

وحبيبٍ يتمنّى الكأسُ ثغرَهْ

إلتقتْ عــينى بهِ أوّلَ مــرّهْ

فــعــرفتُ الحبَّ من أوّلِ نظرَهْ

أينَ من عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

مرَّ بى مُستضحِكاً فى قُرْبِ سَاقى

يَمــزُجُ الراحَ بأقــداحٍ رِقــاقِ

قــد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفــاقِ

فنظرنا ، وابتــســمنا للتّلاقى

وهو يَســتــهــدِى على المَفْرِقِ زهرَهْ

ويُســــــــــوِّى بِيَدِ الـفتْنَة شَعْرَهْ

حـــينَ مـــسـتْ شَفَتِى أولُ قطرَهْ

خلّتْهُ ذوبَ فــى كــــــاسِىَ عِطْرَهْ

أينَ منْ عـــينىَّ هـاتيكَ المجـــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الـخيـالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانى :

هاجتِ الذكـرى ، فـأينَ الهَرَمـانِ ؟

أين وادى السِّحرِ صدَّاحَ المغانى ؟

أينَ مـــاءُ النيل ؟ أين الضِّفَّتان ؟

آهِ ، لـو كنتَ مـــعى نخـتــالُ عَبْرَهْ

بشـــــراعٍ تَســـــبحُ الأنجمُ إثْرَهْ

حـــيث يَروى الموجُ فى أرخمِ نَبْرَهْ

حُلْمَ ليلٍ من ليـــالى كليــوبتـــرَهْ

أينَ منْ عـــينىَّ هـاتيكَ المجـــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الـخيـالِ

أيهــا الملاحُ ، قفْ بينَ الجـســورِ

فـــتنةِ الدنيـــا ، وأحـــلامِ الدهورِ

صـــــفّقَ الموجُ لـولدانٍ وحـــــورِ
يُغـــرقـــونَ اللّيْلَ فـى يَنبـــوعِ نورِ
مـــــا ترى الأغْيَدَ وضّاءَ الأسِرّهْ ؟
دقّ بـالسّاقِ وقـــــــد أسْلَمَ صَدْرَهْ
لِمُحبٍّ لـفّ بـالســـــاعدِ خَصْرَهْ ؟
ليتَ هـذا الليلَ لا يُطْلِعُ فـــجـــرَهْ !
أينَ مـنْ عـــينىّ هـاتيكَ المجـــالى
يا عـروسَ البحـرِ ، يا حلْمَ الخيـالِ
رَقَصَ الجُندولُ كـــالنَّجْمِ الوضىّ
فاشْدُ ، يا ملاحُ ، بالصوتِ الشجىّ
وترَنَّمْ بـالـنـشـــــيـــــدِ الوثَنىّ
هذهِ الليلةُ حُلْمُ الـعَبـــــقـــــرىّ

شـاعتِ الفرحـةُ فـيــهـا والمَســرّهْ
وجَلا الحُبُّ عــلـــى الــعُشّاقِ سِرّهْ
يَمْنـةً مِلْ بـى ، عـلـى الماءِ ، ويَسْرَهْ
إنّ لـلـجـنـدولِ تحـتَ الـليـلِ سِحْرَهْ
أينَ ، يـا فينيسيا ، تلك المجـالى ؟
أينَ عُشّـــاقُكِ سُمّارُ الليـــالى ؟

أينَ من عـينىَّ أطيـافُ الجـمـالِ ؟

مَوْكبُ الغْيـدِ وعـيدُ الكرنفـالِ ؟

يا عروسَ البحر ، يا حلْمَ الخَيالِ !!

✍ ✍ ✍

٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أىُّ حُلْمٍ من لَياليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فغنَّى ، وتغَنَّى الشاطئانِ
وَهفَا كلُّ فؤادٍ ، وشدَا كلُّ لسانٍ :
هذهِ فاتنةُ الدُّنْيا وحسناءُ الزَّمانِ

بُعِثَتْ فى زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ من كلِّ فنِّ
مَرِحِ المجدافِ يختالُ بحوراءَ تُغنِّى

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركْتَنى أفراحَ قَلْبى !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عُشَّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثَارا
حلوةٌ صافيةُ اللَّحْنِ كأحْلامِ العذارى

حُلْمُ عَذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءِ
فتَغَنَّتْ بشراعٍ من خَيالِ الشعراءِ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركْتَنى أفراحَ قَلْبى !

وتَجَلَّى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتهدَّاهُ على الموجِ نَواتيٌّ عبيدُ
المجاديفُ بأيديهمْ ، هتافٌ ، ونشيدُ
ومُصلُّونَ لَهُمْ فى النهرِ محرابٌ عتيدُ
سَحرَتْهم رَوْعَةُ اللَّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدُ
كلُّهمْ رَبٌّ يُغَنِّى وإلهٌ يَستعيدُ
يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !
إصدَحى ، أيتها الأرواحُ ، باللَّحْنِ البديعِ
إمرَحى ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالموْجِ الخليعِ
قَبِّلى ، تحتَ شراعى ، حُلُمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيلِ فى ليلِ الرَّبيعِ
رنَّحَتْهُ موجةٌ تَلعبُ فى ضوءِ النُّجومِ
وتنادى بشعاعٍ راقصٍ فوقَ الغيومِ
يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !
ليلُنا خمرٌ وأشواقٌ تُغَنِّى حولنا
وشراعٌ سابحٌ فى النُّورِ يَرْعَى ظلَّنا

كانَ فى اللّيْلِ سكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا

لَيْتَهُمْ قد عَرَفوا الحبَّ فباتوا مثْلَنَا

كلَّما غرَّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحناً

يا حبيبى ، كلُّ ما فى اللّيلِ روحٌ يتغنّى

هاتِ كأسى ، إنها ليلةُ حُبِّى

آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

يا ضِفافَ النيلِ باللهِ ويا خُضْرَ الروابى

هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهابِ

أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ فى النُّورِ المُذابِ

سابحاً فى زورقٍ من صُنْعِ أحلامِ الشبابِ ؟

إنْ يكُنْ مرَّ وَحَيَّا من بعيدٍ أو قريبِ

فَصِفيهِ ، وأعيدى وصْفَهُ ، فهو حبيبى!

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى

آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى

يا ابنةَ النَّهرِ الذى غَنَّاهُ أربابُ الخيالِ

وتمنَّتْ فيهِ لو تسبحُ ربَّاتُ الجمالِ

موجهُ الشَّادى عشيقُ النُّور ، معبودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَروِى ، وتُصغى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضْر سكرى ، والسنى كأسٌ تدورُ
حُلُمٌ لم تروْهِ ليلةُ حُبٍّ
فاذكريه ، واسمعى أفراحَ قلبى !

✍ ✍ ✍

٥ – العام الهجرى الجديد

غَنِّ بالهجرة : عاماً بعدَ عام
وادْعُ للحقِّ ، وبشِّرْ بالسَّلام
وترسَّلْ ، يا قَصيدى ، نَغَماً
وتنقَّلْ بين مَوْجٍ و غمام
صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما
فى نواحى الأرضِ من بَغْيٍ و ذام
كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى
مُهَجٍ كلْمَى ، وأكبادٍ دَوامى
هَجَرَتْ أوطانَها واغتربتْ
فى مثالىٍّ من المبدإِ سام
أنِفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى
وأبَتْ ذُلَّ الضَّميرِ المسْتضام
يا دُعاةَ الحقِّ : هذى محنةٌ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بمشبوبِ الضرام
هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمام
وصراعُ الخيرِ ، والشَّرِّ العُقام

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهَدَى
بيراعٍ ، وتحدَّى بحسام
هجرةٌ كانت إلى اللهِ ، وفى
خطوِهَا : مولِدُ أحْداثٍ جِسام
أخطأ الشيطانُ مَسْرَاها ، فيا
ضَلَّةَ الشيطانِ فى تلك المَوامى !
آبَ بالخَيْبَةِ من غايتِه
وهو فوقَ الأرضِ ملعونُ المقام
صفحاتٌ من صراعٍ خالدٍ
ضُمِّنَتْ كلَّ فخارٍ ووسام
لم تُتَحْ يوماً لجبَّارٍ طَغَى
أو لباغٍ فاتكِ السَّيْفِ عُرام
بل لداعٍ أعزلٍ فى قومِه
مستباحِ الدَّمِ مهدورِ الذِّمام
زلزلَ العالم من أقطارِه
بِقُوىَ الرُّوحِ على القَوْمِ الطُّغام
وبَنَى أولَ دنيا حُرَّةٍ
بَرِئَتْ من كلِّ ظلمٍ وأثام

تَسَعُ الـنــاسَ عـلــى ألـوانــهــم

لـم تـفــــرِّقْ بـين أرىً وســــامى

*   *   *

حـــــــاطِمَ الأصنـام : هَلْ منكَ يَدٌ

تَذَرُ الظلمَ صـــديعـــاً من حُطام ؟

لم تُطِقْهـــا حـــجَراً أو خَشَبـــاً

ويُطاق اليـــــومَ أصنـامُ الأنام !!

وعـــــجـــيبٌ صُنْعُهم فـى زمنٍ

أبْصَرَ الأعـــمى به والمتَعـــامى !

وتُرجـى عـــــودةَ المجـــدِ الذى

أعـجـزَ البَانـى ، وأعيَا المتـسـامى

من بيـــوتٍ هاشـــمـــيَّاتِ البنَى

وعُروشٍ أمــــــويَّاتِ الدعـــــام

ونـتـــــاجٍ من نُهىً جـــبَّارةٍ

وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضـــخـــام

قلْ لها ، يا عامُ : لا هُنْتِ ، ولا

كنتِ إلا مـــهـــدَ أحـــرارٍ كـــرام

ذاكَ مـــــجــــدٌ لم ينَلْهُ أهلُه

بالتـــمنِّى ، والتـــغنِّى ، والكلام

بل بآلامٍ ، وصبْرٍ وضنىً
ودموعٍ ، ودمٍ حُرٍّ سجام
قُلْ لها : إنَّ الرَّحى دائرةٌ
واللَّيالى بيْنَ كرٍّ وصدام
فاستعدى لغدٍ إنَّ غداً
نُهْزَةُ السبَّاقِ فى هذا الزحام !
واجمعى أمركِ لليَوْمِ الذى
يَحْمِلِ البُشْرَى لعُشَّاق السلام !

✍ ✍ ✍

٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليتَ شعرى أهكذا نحنُ نمضى

فى عُبابٍ إلى شواطئَ غُمْضِ

ونخوضُ الزمانَ فى جُنْحِ ليلٍ

أبدىٍّ ، يُضنى النفوسَ ويُنضى

وضفافُ الحياةِ ترمُقُها العيـ

ـنُ فبعضٌ يمرُّ فى إثرِ بعضِ

دون أنْ نملكَ الرجوعَ إلى ما

فاتَ منها ، ولا الرسوَّ بأرضِ ! ؟

* * *

حَدِّثى القلبَ ، يا بحيرةُ ، مالى

لا أرى « أولفيرَ » فوقَ ضفافِكْ

أوْشكَ العامُ أن يمرَّ ، وهذا

موعدٌ للقاءِ فى مُصطافِكْ

صخرةَ العهدِ ! ويكِ ، هأنذا عُدْ

تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافِك ؟

عدتُ وحدى أرعَى الضفافَ بعينٍ

سفكتْ دمعَها الليالى السوافكْ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـــ

ــتِ هديراً يهـــزُّ قلبُ السكونِ

وضـــفـــافٍ أمـــواجُهَا يتـــداعـــ

ـــين على هذهِ الصخورِ الجونِ

والنســـــيمُ العليلُ يدفعُ وَهْنًا

زَبَدَ الموجِ للربُّى والحــــــزونِ

ملقيـــاً رغـوَها على قَدَمَيْهـــا

ليِّنَ المسِّ مســـــتحبَّ الأنينِ

* * *

أتُرى تذكـــــــرينَ ليلةَ كنا

منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ

وســـرى زورقٌ بنا يتـــهـــادى

تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟

فى سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوق المـــ

ـــوجِ إلا أغـــانىَ المجـــدافِ

تتـــلاقى على الرُّبى والحـــوافى

بأناشـــيـدِ مـــوجِكِ العـــزَّافِ ؟ ؟

* * *

وعلى حـــينِ غـــرةٍ رنَّ صـــوتٌ

لم يُعَوَّدْ ســـــمـــــاعَه إنسىُّ

هبطَ الشاطئَ الطروبَ فما يُسمـ

ـــعُ فـــيـــهِ للهـــاتفـــاتِ دوىُّ

وإذا الليلُ ســـــاهمٌ سكَنَ النو

ءُ إليـــــــهِ وأنصتَ اللجىُّ

يتلقى عن نبـأةِ الصـوتِ نجـوى

كـلمـــــــاتٍ ألقى بـهنَّ نجىُّ

* * *

يا زمـــاناً يمـرُّ كـالطيـرِ مـــهـلاً

طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيـــرانَكْ !

أهناءَ الســـاعـــاتِ تجـرى وتعـدو

نا عطاشـــاً ، فـقف بنا جـريانك !

ويكَ دَعنـا نمرحْ بـأجـــــملِ أيا

مٍ ونَلقى ، من بَعْدِ خـوفٍ ، أمـانكْ

وإذا نحن لَذَّةَ العيش ذقنا

ها ومرّت بنا فَدُرْ دَوَرَانكْ !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشقاءَ قد غَمَرَ الأر

ضَ وفاضَ الوجودُ بالتاعسينا

كلهمْ ضارعٌ إليك يرجّيك

فأسرعْ ! أسرعْ ! إلى الضّارعينا

وافترس مُشْقيات أيامهمْ وامـ

ـضِ رحىً تطحنُ الشقاءَ طحونا

رحمةً ، فاذكرِ النفوسَ الحزانى

وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ

يَفْلِتُ اليومَ من يدى ويفرُّ

وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها

ووشيكاً ما تنقضى وتمرُّ

وأنادى يا ليلةَ الوصلِ قرِّى

إن بعد السُّرى يطيبُ المقرُّ

أســـفـــاً للصبّـــا وغـــرٍّ ليـــالٍ

ليس يُبقى على صبـاهنّ فـجـرُ

* * *

فلنحبَّ الغـــــداةَ ولنحيَ حبًّا

ولنكنْ فى الحياةِ بعضاً لبعضِ

ولنســـارعْ فنقتـفى إثرَ ســاعــا

تٍ فـقـد تؤذنُ النوى بالتـقـضِّى

إننا فى الحـيـاةِ فى عُرْضِ بحـرٍ

ليس نُلقى المرساةَ فـيـهِ بأرضِ

مـــا بـه مـــرفـــأ يَبـــينُ ولكنْ

نحن نمضى فى لجِّه ، وهو يمضى !

* * *

أكــذا أنتَ ، أيهـــا الزَمَنُ الحـــا

قــدُ ، تغـتـالُ نشـوةَ اللحظاتِ ؟

حـيثُ يُزجِى لنا السـعـادةَ أمـوا

جــاً من الحبِّ زاخـرُ اللجـاتِ ؟

أكـذا أنت ، ذاهبٌ بليـالى الصـــ

ـــفـوِ عنا سـريعـةَ الخطواتِ ؟

أكــذا تنقــضى مـــلاوةُ نعـــمـــا

ها كمـا ينقـضى شـقـاءُ الحـيـاة ؟

* * *

كيفَ حـدَّثْ : أغـالهـا منك صـرفٌ

فى أبيـدِ الزَّمـــانِ حــيثُ طواها ؟

ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يومـــاً

أن نراها ؟ أمـــا تبـــينُ خُطاها ؟

أتراها ولَّتْ جـــمـــيـــعـــاً ، ولما

تبقَ حـــــتـى آثارُهـا ، أتراهـا ؟

أوَذاكَ الدهرُ الذى افـتنَّ فى صـــو

غِ صـبـاها هو الذى قد مــحـاها ؟

* * *

أيُّهـــذا الزمـــانُ ، والعـــدمُ العـــا

تى ، غـريقـين فى سكونٍ وصــمتِ

أىْ عـــمـــيقَ اللجـــاتِ : مـــاذا بأيا

مِ صــبـــانا ؟ مـــاذا بهنَّ صنعتِ ؟

حـدثينى ، أمـا تعـيـدينَ مـــا من

سكراتِ الغـــرامِ منا اخـــتطفتِ ؟

أوَ مــا تُطلقــينهــا من دياجــيـ

ـكِ ؟ أمـا تبـعثـينهـا بعدَ مـوتِ ؟

* * *

أنتِ ، يا هذهِ البـحــيـرةُ ، مــاذا

يكتمُ الموجُ فـــيكِ والشطآنُ

أيهـــا الغـــابةُ الظليلةُ رُدّى

أنت ، يا من أبقى عليهـا الزمـانُ

وهو يسطيعُ أن يُجِدّكِ حـسناً ! !

إحـفظى لا أصـابَكِ النسـيـانُ ! !

قلْ حـفظاً أن تذكـرى ليلةً مــرّ

تْ وأنتِ الطبــيـعــةُ الحــسّانُ

* * *

ليَكُنْ منكِ ، يا بحـيـرةُ ، مـا لجَّ

بكِ الصـمتُ أو جنونُ اصطخـابكْ

فى مــغــانيكِ حـــاليـاتٍ تراءى

ضـاحكاتٍ على سفـوحِ هِضـابكْ

فى مـروج الصنوبرِ الحـوِّ تهـفـو

سـابغـاتُ الأليـافِ حـولَ شـعـابكْ

في نتوءِ الصخورِ ، مشرفةَ الأعنا

قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبابِكْ

* * *

وليكنْ في العُبابِ يهدرُ أمـ

ـواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ

في انتحابِ الرياح تُعول في الوديـ

ـانِ إعوالَ قلبيَ المفؤودِ

في صدى الجدولِ الموقَّع أنّا

تِ حشاهُ بالجندلِ الجلمودِ

في شذاكِ السريّ ينشقُ منه الـ

ـقلبُ ريًّا فردوسهِ المفقودِ ! ؟

* * *

وليكن في النسيم ما هبَّ ساريـ

ـهِ يجوبُ الشطآن نحوكِ جَوْبا

في جبينِ النجمِ اللجينيِّ يُلقي

فِضّةَ الضوءِ في مياهِكِ ذَوْبا

وليكنْ في شتيتِ ما تسمعُ الأذ

نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصــــوتِ يتلو

« قـد أحـبَّا وأخلصـا مـا أحـبـا »

✍ ✍ ✍

٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رفَّت عليه مورقاتُ الغصونْ
وحفَّهُ العشْبُ بنوّارهِ
ذلكَ قبرٌ لم يُشدْهُ المنونْ
بلْ شادهُ الشعرُ بآثارهِ
أقامهُ من لبناتِ الفنونْ
وزانهُ المجدُ بأحجارهِ
ألقى به الشاعرُ عبءَ الشجونْ
وأودعَ القلبَ بأسرارهِ

* * *

وجاورتْهُ نخلةٌ باسقَةْ
تجثُم فى الوادى إلى جنبهِ
كأنها الثاكلةُ الوامقَةْ
تقضى مدى العُمْرِ إلى قربهِ
تئنُّ فيها النسمةُ الخافقَةْ
كأنما تخفقُ عن قلبهِ

وتُرسلُ الأغنيـةَ الشـائقةْ

قمْريةٌ ظلَّتْ علـى حبِّـهِ

* * *

ويُقبلُ الفجرُ الرقيقُ الإهابْ

يحنو على القبـرِ بأضـوائهِ

كأنما ينشُدُ تحتَ التراب

لـؤلـؤةً تُزرى بـلألائـهِ

إستلَّ منها الموتُ ذاكَ الشهابْ

غيرَ شُعاعٍ ، فى الدُّجى ، تائه

يَظَلُّ يهفو فوقَ تلكَ الشعابْ

يطوفُ بالينبـوعِ من مـائهِ

* * *

ويذهبُ النُّورُ ويأتى الظلامْ

وتبـزغُ الأنجمُ فى نسـقـهِ

حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ

أسـهرهُ الثـائرُ منْ شـوقهِ

تبحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجامْ

هوتْ به الأقـدارُ عن أفـقـهِ

أخٌ لهـــا فى الأرضِ ودُّ المقـــامْ
وآثر الغـــربَ على شـــرقـــه

* * *

ويُطلقُ الطيـرُ نشـيـدَ الصـبـاحْ
بنغـــمـــةٍ تصــــدُرُ عن حُزنه
يَمُدُّ فـــوقَ القـــبـــرِ منهُ الجناحْ
ويـرسلُ المـنقـــــارَ فـى ركنـه
أفــضى إلى الراقــدِ فــيـه وَباحْ
بـــأنَّهُ المــلــهــمُ مـــن فـــنِّه
فَمِنْ قــوافــيــهِ اســتــمــدَّ النُّواحْ
ومن أغـــانيـــهِ صـــدى لحنه

* * *

وحـــين تمضـى نَسَمَاتُ الخـــريفْ
وتمـلأُ الأرضَ رياحُ الـشـــتـــاءْ
ويقـــبلُ الليلُ الدَّجِيُّ المخـــيفْ
فـلا ترى نجـمـاً ينيـرُ السـمــاء
هـناكَ لا غـــصـنٌ عليـــه ورَيفْ
يهـفـو ، ولا طيـرٌ يثـيـرُ الغناء

يظلِّلُ الأرضَ الظلامُ الكثـيفْ
كـأنما تُمسى بوادى الفناءْ

* * *

يا شـاعـراً مـا جـمـعـتنى بهِ
كـواكبُ الليلِ وشـمسُ النهـارْ
لكنّه الشـرقُ وفى حـبِّهِ
ينأى بنا الشـوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شجـوكَ فى قلبـه
ومن مـآقـيكَ الدمـوع الغِزار
فـودٌّ أنْ لـو نِمْتَ فـى تربـهِ
ليـشـفىَ النفسَ بهـذا الجـوارْ

* * *

قـد راعنى مـوتُكَ ، يا شـاعـرى
فى مـيـعـةِ العـمرِ وفـجـرِ الشبَابْ
وهـزَّنى مـا فـاضَ من خـاطرِ
كـانَ ينابيعَ البـيـانِ العِذَابْ
ونفـثـاتُ القَلَمِ السـاحـرِ
فى جـوبكِ الأُفقَ وطىَّ السـحـابْ

ووقـــفـــةٌ بالكوكبِ الحـــائرِ

رأى بســـــاطَ الريـحِ يدنـو فَهَابْ

* * *

لـكنَّهُ شـــعـــرُكَ لمَّا يَزَلْ

يُردِّدُ الـكونُ أناشـــيـــدَهُ

شِعـرٌ كَصـوْبِ الغـيثِ أنَّى نزلْ

أرقصَ فى الرَوْضِ أمـــاليـــدَهُ

وعلَّم الطيـــرَ الـهـــوى والـغزَلْ

فـــأســـمعَ الزهرَ أغـــاريدَهُ

وَغَنَّتِ الـــريـــحُ بـــه فـــى الجَبَلْ

فــحـــركتْ منهُ جـلامـيـدَهُ

* * *

يا قـــبـــرُ لم تُبْصِرْكَ عـــينى ولا

رأتك إلا فـى ثنايا الخـــيـــالْ

مـــلأتَ بالرَّوْعِ فـــؤاداً خـــلا

إلا من الحـبِّ ونورِ الجـــمـــالْ

أوحـيتَ لى ســرَّ الردى فـانجلى

عن عـينىَ الشكُّ وليلُ الضـلالْ

ـ ذا ستطوى القلبَ أيدى البلى

ويقنصُ النجمَ عـقـابُ الليالْ

* * *

وهكذا تمضى ليالى الحياهْ

والقبرُ مازالَ على حالهِ

دنيا من الوَهْمِ ودهرٌ تراه

يغَرِّرُ القلبَ بآمالهِ

يسخرُ من مبتسماتِ الشفاهْ

وجامدِ الدمعِ وسَيَّالهِ

دهرٌ على العالمِ دارتْ رحاهُ

فلم تَدَعْ رسماً لأطلاله

✍ ✍ ✍

٨ - شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتَ خَيالى فاستجابتْ خواطرى
وحـــــــدَّثنى قلبى بأنكَ زائرى
عَشَيَّةَ أغرى بِى الدُّجى كلُّ صائحٍ
وكلُّ صدىً فى هَدْأةِ الليلِ عابرِ
أقــولُ مَنِ السَّارى ؟ وأنتَ مُقَارِبِى
واهتفُ بالنُّجْوَى ، وأنتَ مُجاوِرِى
أُحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحاً وخاطراً
كأنَّك مبعوثُ الليالِى الغوابرِ
ومثَّلَ لى سمْعى خُطاكَ ، فخِلْتُها
صَدَى نبأٍ من عالمِ الغَيْبِ صادرِ
سِوى خطراتٍ من بَنانٍ رفيقةٍ
طَرَقْتَ بها بابى فَهَبَّتْ سرائرى
عرفتُكَ ، لم أسمعْ لصوتِكَ نَبْأةً
وشِمْتُكَ ، لم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ ناظرى
أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حُلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،

فَجدِّدْ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ

وساقِطْ جَنَاها من قوافيكَ سَلْسَلاً

رَخِيماً كأَرْهامِ النَّدى المُتناثِرِ

سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ

كؤوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافرِ

نَجِيُّ الليالى القاهريَّاتِ : طُفْ بها

خَيَالَةَ ذكرى ، أو عُلاَلَةَ ذاكرِ

وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ

إليكَ ، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ

وطالِعْ سماءً فى مَعَارجِ قُدْسِها

مَرحْتَ بِوُجْدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ

وسَلْسَلْتَ من أندائِها وشُعاعِها

جَنَى كَرْمَةٍ لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ

تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهىِّ كأسُها

فَغَرَّدَ بالإلْهَامِ كلُّ مُعاقِرِ

عَلَى النِّيل رُوحانيةٌ من صَفائها

ولألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سافرِ

فـصـافِحْ بعـينيكَ الدِّيارَ فطالما
مَدَدْتَ على آفـاقِهـا عـينَ طائرِ
وخُذ فى ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبِعْ
خُطَى الوحْيِ فى تلكَ الحقولِ النَّواضرِ
حـدائقُ فـرعَونٍ بدفَّاقِ نَهـرِها
وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهـرِ
وفى شُعَبِ الوادى ، وفـوقَ رمـالهِ
عِصِىُّ نبىٍّ ، أو تَهَاويلُ سـاحـرِ
صـوامعُ رُهْبانٍ ، مَحـاريبُ سُجَّدٍ ،
هيـاكِلُ أربابٍ ، عـروشُ قـيـاصـرِ
سَرَى الشـعرُ فى باحـاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفـاسٍ ، ونَجْوَى ضـمـائرِ
وهمْسَ شِفـاهٍ تَشْمَلُ الروحُ عندَهُ
وتَسْبَحُ فى تِيـهٍ من السِّحْرِ غـامـرِ
هو الشـعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها
وحُلْمُ صِبـاها فى الرَّبيعِ المُبـاكِرِ
وصـوتٌ بأسـرارِ الطبيـعـةِ ناطقٌ
ولكنَّه روحٌ ، وإبداعُ خـاطرِ

ووثْبَةُ ذِهنٍ ، يَقْنِصُ البــرقَ طائراً

ويغــزو بروجَ النَّجْمِ غــيرَ مُحــاذِرِ

فـيــا دُرَّةً لم يحـوِها تاجُ قـيـصــرٍ

ولا انتظمتْ إلا مــفــارقَ شــاعرِ

تألَّه فـيكِ القلبُ واسـتكبـرَ الحِجَى

على دَعَةٍ ، من تَحْتــهــا روحُ ثائرِ

إذا اعترضَ الجبَّارُ ضَوءَكِ شامخاً

تَلقَّيْتِهِ كـــبْراً ببَسْمَةِ ســـاخـــرِ

لَمستِ حــديدَ القَيْدِ فــانحلَّ نظمُه

وأطلقتِ أســــرَى من براثِنِ آسِرِ

ومــا زِدْتِ فـى الأحداثِ إلا صـلابةً

إذا النَّارُ نالتْ من كِرامِ الجــوَاهرِ

يزينُ بكِ الرَّاعى سـقـيـفـةَ كُوخِهِ

فـتـخـشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقـاصـرِ

أضاعوكِ فى أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا

بـأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغْلَى الذَّخـــــائرِ

وهُنتِ على مـــهــدِ الفنونِ ، وطالما

ســمــوتِ بسلطانٍ من الفنِّ قــاهِرِ

إذا افــتــقــدَ التــاريخُ آثارَ أمَّةٍ

أشَرْتِ بمـا خـلَّدتهِ مـن مــــــآثـرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزَلْ

خــيــالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وســـامرِ

وشــعــرُكَ فى الأفــواهِ إنشــادُ أمــةٍ

تغنَّتْ بماضٍ واســتــعــزَّتْ بحـاضرِ

وذِكْراكَ نَجْوى اليائسينَ ، إذا هَفَتْ

قلوبٌ ، وحـارتْ أدْمُعٌ فى المَحـاجِرِ

يَدُلُّ عـلـيكَ الـقـلـبَ أنَّاتُ بـائـسٍ

ونظرةُ مــحْزونٍ ، وإطراقُ ســادِرِ

ومــا أنتَ إلاَّ رائدٌ من جــمــاعــةٍ

تَوالَوا تِبـاعــاً بالنُّفــوسِ الحــرائرِ

صَحَتْ بادياتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبــارِهِمْ

عـلـى شَدْوِ أقــــلامٍ ولمـعِ بـواترِ

وفى القِمَمِ الشَّماءِ ، مِنْ صَرَخاتِهِم ،

صَدَى الرعدِ فى عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ

يضـيـئـونَ فى أفْقِ الحـيـاةِ كـأنَّهمْ

على شَطِّهــا النَّائى منارةُ حــائرِ

فـيـا شـاعـراً غَنَّى فَرَقَّ لشَجْوِهِ
جَفاءُ اللَّيالى ، واعتِساف المقادِرِ
لَكَ الدهْرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى
خـمـيلةُ شـادٍ آخـذٍ بالمشاعـرِ
فَنَمْ فى ظلالِ الشَّرْقِ ، واهنأ بمضْجَعٍ
نَدِيٍّ بأنفـاسِ النَّبِيِّينَ عـاطِرِ
ووَسِّدْ ثـراهُ الـطُّهْرَ جَنْبَكَ وانـتَظِمْ
لِداتَكَ فـيـه ، فَهُوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

✍ ✍ ✍

٩ – شوقى

فى رثاء الشاعر أحمد شوقى

هَجَرَ الأرضَ حين مَلَّ مقامَهْ

وطوى العمرَ حيرةً وسآمهْ

هَيْكلٌ من حقيقةٍ وخيالٍ

مَلَكَ الحبُّ و الجمالُ زمامَه

ألْهَمَ الشعرُ أصغريه فرقًّا

فى فَمِ الدهرِ كوثراً و مُدامه

سلسبيلٌ من حكمةٍ و بيانٍ

فَجَّرَ اللهُ منهما إلهامَه

تأخذُ القلبَ هَزَّةٌ من تسا

قيه ، ويَنْسى بسحره آلامه

غَمَرَ الأرضَ رحمةً وسَلاماً

وجلا الكونَ فتنةً ووسامه

مالنا مِسْمعَ الوجودِ نشيداً

عَلَّمَ الطيرَ لحنَهُ وانسجامَهْ

مالَهُ و الزمانُ مصغٍ إليه

رَدَّ أوتارَه وحطَّمَ جَامَهْ ؟

رَوَّعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيْـــ
ـــكِ وسالتْ جراحُها الملتامة
ما الذى شاقَهُ إلى عالمِ الرُّوْ
حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المستهامة !
راعها النورُ وهيَ فى ظلمة الكـ
ـكونِ فخفَّتْ إليه تطوى ظلامهْ
هى بنتُ السماءِ وهو من
الأرض سليلٌ نما الترابُ عظامه
فاهتفوا باسمه فما ماتَ ، لكنْ
آثرَ اليومَ فى السماءِ مُقامهْ !

* * *

حدَّثتنى الرياضُ عنهُ صَباحاً
ما لصدَّاحِها جفا أنغامهْ ؟
وشكا لى النسيمُ أولَ يومٍ
لم يُحمِّلْهُ للحبيبِ سلامهْ
وتسمعتْ للغديرِ يُنادى
ما الذى عاقَ طيرَهُ وحمامهْ ؟
أتُراهُ ترشَّفَ الفجرَ نوراً
أم شفى من نَدَى الصباحِ أُوامهْ

ورأيتُ الجـمـالَ فى شُعَبِ الوادى

ينادى بطاحَهُ و أكـــامـــهْ

صارخاً يستجيرُ شاعرَهُ الشـ

ـــادى ، ويدعـــو لفنِّه رسَّامـــهْ

فَتَلَفَّتُّ باكـــيـــاً وبعــــينى

شَبَحٌ تخطرُ المنونُ أمـــامـــهْ

هتفَ القلبُ بالمنادينَ حـــولى :

لَقِيَ الصـــادحُ الطروبُ حِمـــامـــهْ

فـــاذكـــروا شَدْوَهُ بكل صـــبـــاحٍ

وارقـــبـــوا من خَيَاله إلمامـــه

واملأوا الأرضَ والسـمـاءَ هُتـافـاً

عَلَّهُ لم يَرَ الصـــبـــاحَ فنامـــهْ

* * *

لم يرُعنِى مـن جـــانبِ النيلِ إلا

كـــرمـــةٌ فـــوقَهَا ترفُّ غَمَامـــة

تحت ســاجى ظلالـهـا زهرةٌ تبـــ

ـــكى ، وفى فَرْعِهَا تنوحُ حـمَامـة

عـرفُتـهـا عينى ، ومـا أنكرتهـا ،

من ظلامٍ و وحشـةٍ و جَهَامـة

قلتُ يا كَرْمَةَ ابنِ هانى سَلامــــاً

ليسَ للمرءِ فى الحياةِ سلامة

نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليلٍ

عابرٍ يَنسخُ الضياءُ ظلامه

والذى تلمحينَ من لَهبِ الشـ

ـمسِ غداً يُطفىءُ الزمانَ ضرامه

والذى تبصرينَهُ من نجومٍ

فَلَكٌ يرصدُ القضاءُ نظامه

عَبَثاً نُنشدُ الحياةَ خلوداً ،

ونرجِّى الصِّبا ، ونبغى دوامَهْ

إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ

ـبُ وفى جوفهِ تطيبُ الإقامة

أودعَ القلبُ فيهِ آلامَهُ الكـ

ـبدى ، وألقى ببابه أحلامه

نَسِىَ الناعمونَ فيه صباهُمْ

وسلا المغرمُ المشوقُ غرامَهْ

فامسحى الدمعَ وابسمى للمنايا

إنَّ دنياكِ دمعةٌ وابتسامة ! !

* * *

أيهـــا المســـرحُ الحـــزينُ عـــزاءً
قـد فـقـدتَ الـغـداةَ أقـوى دِعـامـه
ذَهَبَ الشـاعـرُ الذى كنتَ تسـتـو
حى وتسـتلهمُ الخلودَ كـلامـهْ
ولكَ اليـومَ همـةٌ فى شـبـابٍ
مـلأوا الـعـصـرَ قـوةً و همُامـهْ
نزلوا سـاحةً يشـيـدونَ للمـجـ
ـدِ وشـقُّوا إلى الحـيـاةِ زحـامـه
فـاذكـروا نهـضـةَ البـيـانِ بأرضٍ
أطلعتْ فى سـمـائهـا أعـلامـه
إنـهـا أمـةٌ تـغـارُ على الفنِّ
وترعى عـهـودَه و ذمـامـهْ
لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ فى الشر
قِ ، وفى كـفِّهـا لواءُ الزعـامـة
إنَّ يومـاً يفـوتُهـا السَبْقُ فـيـه
لهـوَ يومُ المعـادِ يومُ القـيـامـة ! !

✍ ✍ ✍

١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هنَّأتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحرارا

يَنْدَى هـواكِ على هـامـاتـهمْ غـارا

دمَشْقُ ! يا بلدَ الأحـرارِ ، أىُّ فـتىً

لم يَمْتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !

ذَوْدا عن الوطنِ المعـبـودِ ، من دمِهِ

للمـجـدِ يبنيـهِ آطامـاً وأسـوارا

زَكَتْ « أمَيَّةُ » فى أعـراقـهِ وجـرتْ

دمـاً يُروِّى الثرى أو يغـسلُ العـارا

عـيـدُ الجـلاءِ أسـمِّيـهِ وأعـرفـهُ

يومٌ تَبـارَكَ أنداءً وأسـحـارا

جـلا عن الشـرقِ ليلُ البغى حـينَ جلا

عـروبةٌ فـيكِ تَلْقَى الأهل والدارا

لولا مـصـابٌ دهى الوادى فشبَّ به

ناراً ، وهاجَ النسيمَ العذبَ إعصارا

وروَّعَ الأمـــةَ الغلبـــاءَ فى رَجُلٍ
شـدّتْهُ قـوســاً ، وسلَّتْ منه بتَّارا
من النوابغِ أعـمـاراً إذا قـصـرتْ
مـدَّ النبـوغُ لهم فى الخلدِ أعـمـارا
أحـرارُ مملكةٍ فى الرأى مـا أثمـوا
سَمَّاهمـو الغـاصبُ الظَّلام ثُوَّارا
ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا
على الطواغيت حِصْنَ الظلمِ فـانهـارا
... لولاهُ كـانَ إليكِ البـرقُ راحلتى
أطوى به الجـوَّ آفـاقـاً وأقطاراً
وجئتُ «فيحاءُ» أزجى الشعرَ مُفتَقِداً
تحتَ الصـفـائحِ مـقـدامـاً ومـغـواراً
والمفتدونَ ، شُراةُ الخلد ، قُلْ لهمو
مـا ينظمُ المدحُ ألحـاناً وأشـعـاراً !

✍ ✍ ✍

١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابى

لا السـيفُ قَرَّ ولا المحـارِبُ عـاداَ
وسَيَّحَ البشيرِ ! بأىَّ سلْمٍ نادَى ؟
الأرضُ من أجسـادِ من قُتِلوا بهـا
تَجْنِى العـذابَ وتُنْبِتُ الأحـقـادا
فاضَ السحابُ لها دَماً - مُذْ شَيَّعتْ
شَمسَ النهـارِ - فـخـالطتْهُ سَوادا
رأتِ الحِدادَ به على أحـيـائهـا
أتُرَاهمو صَبَغوا السمـاءَ حِدادا !
وَدَّ الطُّغـاة بكلَّ مَطْلَعِ كـوكبٍ
لو أطفـأوه وأسـقطوهُ رَمَادا
وتخـوَّفُوا وَمْضَ الشهَّـابِ إذا هَوَى
وبُروقَ كلَّ غـمـامـةٍ تتـهـادَى
ولو انَّهم وَصَلُوا السـمـاءَ بعِلْمِهم
ضَرَبوا على آفـاقـهـا الأسْدَادَا
لـولا لـوامِعُ مـن نُهـىً وَبـصَائـرٍ
تَغْزُو كُهـوفـاً او تَوُمُّ وهـادا

لـم يَرْقَ عَقْلٌ أو تَرِقّ ســــــــريرةٌ

وقـضـى الوجـودُ ضـلالـةً وفسـادا

راعَ الطُّغــاةَ شُعَاعُهُ فـتـســاءلوا

مَنْ نَصَّ هــذا الــكَوْكَبَ الــوَقّادَا ؟

إِنْ تَجْهَلــوا فَســلُوا بــه آبــاءَكُم

أيَّامَ شَعَّ عـــــدالةً ورِغـــــادا

هـل أبـصــــــــروا حُرِّيَّةً إلا بـه

أو شـــيَّدوا لـحـضـــارةٍ أوتـادَا ؟

حَمَلَتْ سَنَـاهُ لـهـم يَدٌ عــــــربيَّةٌ

تبنى الشـعـــوبَ وتنسجُ الآبادا

هـى أمَّةٌ بالأمسِ شـــادتْ دَولـةً

لا تعــرفُ العِبْدانَ والأســيــادَا

جُرْتُمْ عليـــهــا ظالمينَ بعَدْكُم

وعَدِيدكُم تتـــخــايلونَ عتَادا

ومَنَعْتُمُـوها من مـواهبِ أرْضِـهـا

مــاءً بهِ تَجـدُ الحـيــاةَ وَزَادا

فى المغربِ الأقصى فتىً من نورِها

قَدَحَتْ به كفُّ الســمــاءِ زِنادا

سَلّتْهُ سيفاً كي يحررَ قومَهُ

وَيُزيلَ عن أوطانه استعبادًا

ما بالكم ضِقْتُم به وحَشَدْتُمو

من دونِه الأسيافَ والأجنادًا ؟

اشعَلْتُموها ثورةً دَمَوِيَّةً

لا تعرفونَ لنارِها إِخمادًا

حتى إِذا أوْهَى القتالُ جِلادَكم

ومضى أشَدَّ بسالةً وجِلادًا

جئْتُمْ إِليهِ تُهادِنونَ سُيوفَهُ

وسيوفُهُ لم تسكُنِ الأغمادًا

وكتبتمو عهداً - بحَدِّ سيوفكم -

مَزَّقْتُمُوهُ ولم يجِفَّ مِدادًا

* * *

الأهلُ أهْلُكَ ، يا أميرُ ، كما تَرَى

والدَّارُ دارُكَ قُبَّةً وعِمَادًا

أنّى نَزَلتَ بمصرَ أو جاراتِها

جِئْتَ العُروبةَ أمَّةً وبِلادًا

مَدَّت يدَيْها واحْتَوَتْكَ بصدرها

أمٌّ يَضُمُّ حنانُها الأولادًا

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استَوْدَعْتَها
رَدَّتْ عليكَ المَهْدَ و الميـــــلادَا

وَأتَتْكَ بالذِّكْرِ الخـــوالدِ طاقــةً
كـأجَلِّ مــا جـمـعَ المحبُّ وهادَى

مـاذا لَقِيتَ من الزَّمـانِ بصـخـرةٍ
قـاسَيْتَ فـيـهـا غُرْبةً و وجادًا ؟

وَبَلَوْتَ من صلَفِ الطُّغـاةِ وعَسْفِهِم
فـيـهـا الليـالى والسنينَ شِدَادًا ؟

جعلوا البحـارَ ، ومثْلُهُنَّ جبالُها ،
سَدًّا عليك وأوسـعـوك بعـادَا

دَعْهُم ! فـأنتَ سَخِرْتَ منَ أحلامـهِمْ
وأطَرتَهُنَّ مــع الــريــاحِ بـدادًا

عشـرينَ عامـاً ، قد حَرَمْتَ عيونَهم
غُمْضَ الجـفونِ ، فـمـا عَرَفْنَ رُقـادَا

يَتَلَفَّتُون وراءَ كـلِّ جـــــــزيـرةٍ
ويســــــائلونَ الـموجَ و الأطوادَا

من أىِّ وادٍ .. مـــوجــةٌ هتـفَتْ به
ومضـى ، فـحمَّلَهـا السـلامَ ، وعـادَا

لو أنصــفـوا قَدَرُوا بطولةَ فــارسٍ

لبـــلادِهِ بدَمِ الحُشــاشـــةِ جــادَا

نادَى بأحــرارِ الرجــالِ فــقــرِّبوا

مُهَجــاً تموتُ وراءَه اســتـشــهــادا

يـدعـــــو لحقٍّ أو لإنســــانيّةٍ

تأبى الســجـونَ وتَلْعَنُ الأصــفــادَا

شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنك أن ترى

هـذى الفــتــوحَ وهذهِ الأمــجـــادَا

« الرِّيفُ » هَبَّ منازلاً وقـــبـــائلاً

يدعــو فــتـــاهُ البـــاسلَ الذَّوَّادَا

حَنَّ الحُسامُ لقَبضَتَيْكَ ، وحَمْحمتْ

خـــــيلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قيـــادا

وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلاحِمٌ

تُشْجِى النُّســورَ وتُطْرِبُ الآســادَا

أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ ، وألهمتْ

فُرســـانهمْ تحت الوغى الإنشــادا

عـبدَ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى

إلا صـــراعـــاً قـــائمـــاً وجـــهــادا

الشــــرقُ أجْمَعَـــــهُ لواءٌ واحــــدٌ

نَظَ مَ الصــــفــوفَ وهيَّأ القُوَّادا

لم يتـركِ الـسـيفُ الجـوابَ لسـائلٍ

أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ مـــيـــعـــادا

سـالتْ حلوقُ الـهـاتفـينَ دمـاً ، ومـا

هزُّوا لطاغـيـةِ الشـعـوبِ وِسـادَا

فــصُغِ البـيـــانَ بـهِ ، وأنْطِقْ حَدَّهُ

يَسْمَعْ إليكَ ، مُكَرَّراً ومُعــــادَا

كَذَبَتْ مـــودَّاتُ الشِّفـــاه ولم أجــدْ

رغمَ الـعــداوةِ كــالســيـوفِ وِدادا

✍ ✍ ✍

١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة
وشاطئ البحر المتوسط

جـددتِ ذاهبَ أحـلامى وليـلاتى

فَهَلْ لديكِ حديثٌ عن صبـاباتى ؟

يا كـعـبـةً لخيـالاتى ، وصـومعـةً

رتلتُ فى ظلِّهـا للحـسنِ آياتى

للحُبِّ أولُ أشـعـارٍ هتـفتُ بهـا ،

وللجـمـالِ بهـا أولى رسـالاتى

عليكَ وادىَ أحـلامى وقـفتُ أرى

طيفَ الحوادثِ تمضى بعد مأساةِ

آوى إلى جَنَبَاتِ الصخـرِ منفـردا

أبكى لأمـسـيـةٍ مـرّت وليـلاتِ

قـد غَيَّرتنا الليـالى بَعْدَهَا سِيَرا

وخلَّفتنا العـوادى بعضَ أشـتـاتِ

تلفّتَ القلبُ فى ليـلاءَ باردةٍ

يبكى ليـاليَكَ الغُرَّ المضـيـئـاتِ

وذكـــريـاتٍ من المـاضـى يُطالـعُهـــا

بينَ الحـقـولِ وشُطآنِ البـحـيـرات

* * *

يا طولَ مـــا نَغَّمَتْ للصَّخــرِ أناتى

وشـــدَّ مـــا رجَّعتْ للمـــوجِ آهاتى

يا قلبُ ، وادى الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ

وأقـفـرتْ من صـبـاياهُ الجـمـيـلاتِ

فـــلا الجـداولُ تحـدوهـا مـسـلسـلةٌ

ولا الخـمـائلُ تهـفـو بالنضـيـراتِ

صَوَّحنَ من مـشـرقِ الوادى لمغربِهِ

فــمـــا بهنَّ مُطيفٌ من خـــيـــالاتِ

مـا فـى حـيـاتِكَ من سلوى تلوذُ بـهـا

لكنهُ الحـبُّ ذاكَ القـــاهرُ الـعـــاتـى

قـد فـاجـأتْكَ غـواشيـه التى سـكنتْ

إنَّ الليـــالىَ مـــلأى بالفُجـــاءاتِ

* * *

يا لَلْبُحـيـرةِ : من يرتـادُ شـاطئـهَا

ومن يُسِرُّ إلى الوادى مناجـــاتى ؟

ومن يعـيـدُ لنا أطيـافَ ليلتـهـا

وما غَنمْنَا عليـهـا من أويقـاتِ

وخلوةٍ فى حَفَافـيـهـا وقـد عَبَثَتْ

يَدُ الصَّبا بحـواشـيـهـا الموشَّاةِ

يضـمُّنا باسقٌ ، فى الشطِّ ، منفردٌ

ضَمَّ الشَّتـيـتَيْنِ فى عليـاءِ جناتِ

وللقلوبِ أحـاديثٌ يجـاوبُهَا

تناوحُ الطيـرِ فى ظلِّ الخـمـيلاتِ

* * *

يا ليلةً قـد ذهلنا عن كـواكـبـهـا

فـى زورقٍ بين ضـفَّاتٍ ولجَّاتٍ

يسرى بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفـعهُ ،

كـالنجمِ يسـبحُ فى علوىِّ هـالاتِ

وفى الشـواطىءِ للمـجـدافِ أغنيـةٌ

يَصبُّها الموجُ فى سـحـرىِّ موجـاتِ

مـا كـانَ أهنأها دنيـا ، وأهنأنا

فى ليلِها الصَّحْو، أوفى فجرها الشاتى

مَرّت خيالاتُ ماضيها ، وما تَركَتْ
سوى وجومِ لياليها الحزيناتِ
ومن تَلَهّفِ أحنائى وثارتِهَا
يا لَلْجَوَانحِ من وَجْدِى وثاراتى
ياصرخةَ القلبِ ، هل أسمعتِ منك صَدَىً
مَنْ ذا يردُّ الصَّدى فى جوفِ موماةِ ؟
جوبى مفاوزَ أيامى فقد صَفِرَتْ
من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ
قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى
وضلّتِ العينُ فيها إثرَ غاياتى
حتى العواصفُ صمّتْ عن نداءاتى
فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شبابى فى يفاعَتِهِ
ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعى وأناتى
حرمتَ أيامىَ الأولى مفارحَها
فما نعمتُ بأوطارى ولذّاتى
فَدَعْ فؤادىَ محزوناً يرفُّ على
ماضى ليالىَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتى

دَعْنى على صخرةِ الماضى لعلَّ بها
مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتى !

✍ ✍ ✍

١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيّتُها الطبيعةُ ، كالحزينةِ في بلادى ؟
لولا أغـــاريدٌ ترسلُ بينَ شـــاديةٍ وشـــادى
وخـيــالُ ثَوْرٍ حـولَ ســاقـيــهِ يُراوحُ أو يُغـادى
وقطيعُ ضأنٍ فى المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادى
لحـسـبتُ أنكِ جَنَّةٌ مـهـجـورةٌ من عـهـدِ عـادِ
هجـروكِ ، لا كنتِ العـقـيمَ ولستِ مُنْجِبَةَ القَتادِ
عـجـبـاً ومـاؤكِ دافقٌ ونجـومُ أرضكِ فى اتّقادِ
لو كنتِ فى الغـربِ الصّناعِ لكنتِ قِبلةَ كلِّ هادى
وافتنَّ فـيكِ الفنُّ بالروحِ المُحـرِّكِ للجـمـادِ
وتفـجَّرَ المرحُ الحـبـيسُ بكلِّ ناحـيـةٍ ووادى
ولقلتُ أبتـدرُ الشّذاةَ غـداةَ فـجـرٍ أو تنادى
هذى الروائعُ فيكِ لم تُخْلَقْ لغـيـركِ ، يا بلادى !

✍ ✍ ✍

١٤ - على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إنْ وردتَ النِّيلَ قبلَ ورودى

فحىِّ ذِمامى عِنْدَهُ و عُهُودى

وَقَبِّلْ ثرىً فيه امتزجنا أُبُوَّةً

وَنُسْلِمُهُ لابنٍ لنا وحفيدِ

أخى ! إنْ أذانَ الفجرِ لَبَّيتَ صوتَهُ

سَمِعْتَ لتكبيرى ووقْعِ سجودى

وما صُغْتَ قولاً أو هتفتَ بآيةٍ

خَلا مَنطقى من لَفْظِهَا وقصيدى

أخى ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً

أفَقْتُ على يومٍ أغرَّ سعيدِ

أخى ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادرا

نَبا فيه جنبى واستحالَ رقودى

أخى ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ

خمائلُ جنَّاتى وطابَ حصيدى

أخى ! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ

مشى الموتُ فى زهرى وقصَّفَ عودى

فكيفَ تُلاحـينى وألحـاكَ ؟ إننى
شهيدكَ فى هذا .. وأنتَ شهيدى !
حياتُكَ فى الوادى حياتى ، فإنما
وُجودُكَ فى هذى الحياةِ وجودى

* * *

أخى ! إنْ نزلْتَ الشاطئَيْن فَسَلْهما
مَتى فَصَلا مـا بيننا بحـدودِ ؟
رَمـانى نَذيرُ السُّوءِ فـيكَ بِنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بالأحـزانِ ليلةَ عـيدى
وغامتْ سمائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِسَتْ
مـزَاهرُ أحلامى ومـاتَ نشيدى
غـداةَ تَمنَّى المسـتـبـدُّ فِراقنا
على أرضِ آباءٍ لنا وجـدودِ
وزفَّ لنا زَيْفَ الأمـانى عُلالةً
لعلَّ بنا حُبَّ السـيـادةِ يُودى
أُخـوَّتُنا فـوقَ الذى مـانَ وادَّعى
ومـا بيننا من سيِّدٍ ومسـودِ
إذا قالَ «الاستقلالُ» فاحْذَرْهُ ناصباً
فِخاخَ «احتلالٍ» كالدهورِ أبيدِ

وكم قَبْلُ منّانى ، على وَفْرِ ما جَنَى

بِحَرْبَيْنِ ، من زرعى وضَرْعٍ وليدى

فلمـــا أتاهُ النصـــرُ هاجَتْهُ شِرَّةٌ

فـــــهمٌ بنكرانى ورامَ جُحُودى

ألا سَلْهُ ، ماذا بَعْدَ سبعينَ حجَّةً

أأنجـزَ من وَعْدٍ ؟ أفكَّ قـيـودى ؟

✍ ✍ ✍

١٥ - القبَّرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيهـا الرُّوحُ يهـفـو حَوْلَهُ الفَرَحُ
تحـيَّةٌ ، أيُّهــذا الصــادحُ المَرِحُ
من أمَّةِ الطَّيرِ هذا اللحنُ ما سمِعتُ
بمـثلـه الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ
أنت الذى من سـمـاءِ الرُّوحِ منهلُهُ
خـمـرٌ إلهـيـةٌ لم تَحْوِهَا قَدَحُ
يفـيضُ قلبُك ألحـاناً يُسلسِلُهـا
فنٌ طليقٌ من الوجـدانِ منسـرِحُ !

* * *

وعـالياً ، عـالياً ، لا زلتَ منطلقـاً
عن الثـرى ، تصِلُ الآفـاقَ آمـادا
مثلَ السحـابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،
والبـرقِ مـؤتلقـاً ، والنَّجمِ وقَّادا
يهـفو جَنَاحـاكَ فى أعـماقِ زُرْقَتِها
وأنتَ تَضْرِبُ فـى الآفــاقِ مُرتاداً

تشـدو فَتُمْعِنُ فـى أجـوازِهَا صُعُدا

فـإنْ عَلَوْتَ بهـا أَمْعَنْتَ إنشـادا

* * *

ومـائجٍ ذَهبىٍّ النُّورِ قـد غـرقتْ

فى ذَوْبِه الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثانى

تُوَهِّجُ السُّحبَ البـيـضـاءَ حُمـرتُه

فَتَسْتَحـيلُ عليـهـا ذاتَ ألوانِ

أشـعـةٌ ذاتُ أمـواجٍ غَدَوْتَ بهـا

تطفـو وترسبُ فى لُجـيِّهـا القـانى

كـأنما أنت - جـذلاناً تراوحنا -

روحٌ من الطَرب العلوىِّ نـورانـى

* * *

تذوبُ حـولكَ إمَّا طِرْتَ فـى أفُقٍ

غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى

كنجمـةٍ فى سمـاءِ اللَّيلِ خـافـقـةٍ

تـذوبُ فـى فَلَقٍ لـلصـبـحِ وهَّاجِ

يا من تُطـرِّبنى ألحـانُ غِبْطَتِه

ومـا رَأيتُ لَهُ طيـفـاً بمعـراجِ

ألاَّ أراكَ فإنى سامعٌ نغماً
يهفو إلىَّ بإطرابٍ وإبهاجِ

* * *

وصاعداً فى مضاءِ السهمِ أرسلَهُ
قوسٌ من الكَوْكبِ الفضىِّ منزعهُ
ينأى فيخبو رويداً وهْجُ شُعْلَتِهِ
حتى يُلاشَى كأنَّ الفجرَ يتبعهُ
ونرسلُ العينَ نرعاهُ هنا وهنا
وما يبينُ لنا من أيْنَ مطلعهُ
حتى إذا عزَّنا المرأى وأجهدنا
دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

* * *

هذى السماءُ بموسيقاكَ مائجةٌ
والأرضُ يغمُرُها من صوتكَ الطَرَبُ
وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى
غمامةٍ خلَّفتها وَحْدَهَا السُّحُبُ
وقد بدا القَمَرُ الوضَّاحُ يُمطرها
إرسالَ ضوءٍ على الآفاقِ يَنْسكِبُ

يرمى السموات سيلٌ من أشعتِها
تكادُ تسبحُ فى طوفانه الشُّهُبُ

* * *

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللّيلَ منفرداً
ولم تقعْ لى عليهِ بَعْدُ عينانِ ؟
أىُّ الخليقةِ قل لى أنتَ تشبهُهُ
وأيها منكَ فى أوصافهِ دانى ؟
وهذه السُّحْبُ أصباغاً مُشَكَّلَةً
فى رائعٍ من فَريدِ اللّونِ فتّانِ
لا ينزلُ الغيثُ منها مثلما نزلتْ
شتّى أغانيكَ فى سحرىٍّ ألحانِ !

* * *

كشاعرٍ فى سماءِ الفكرِ مُختبئٍ
دلَّ الوجودَ عليه لحنُه العالى
ألحانُ أغنيةٍ أمسى يُرتّلها
كمرسلٍ من نشيدِ الخُلْدِ سيّالِ
أسلْنَ بالعالمِ السالى خوالجَهُ
حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعَثْنَ مـن ألـمٍ فــــيــــهِ ومن أمَلٍ

مــا لـم يكنْ منهُ فى يومٍ على بالِ

*　*　*

كـــأنَّ حـــوريةً فى ظلِّ شـــاهقـــةٍ

من البروجِ تقضِّى العيشَ فى خَلَسِ

لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ

نيـرانُ قلبٍ لهـا فى فَحْمَةِ الغَلَسِ

باتتْ تلطِّف الامـــاً تســـاورُها

فى عـزلةٍ بنشيـدٍ ســاحـرِ الجـرسِ

تطوفُ ألحـانُ موسيقـاهُ مـخدعـها

كــأنهُ الحبُّ فى إيقــاعـهِ السلِسِ

*　*　*

كـأنَّ بين الرُّبا التـفَّتْ خـمـائلُهـا

فـراشـةٌ من سـبـيكِ التِّبـرِ جَلواءُ

يا حـسنَ اجنحـةٍ منهـا مـذهبـةٍ

قـد رقَّشـتـهـا مِنَ الأسـحـارِ أنداءُ

تُرِى السماءَ صفاءً فهى إنْ خطرتْ

فللســمـــاءِ بهــذا اللَّونِ إغــراءُ

تجلو الأزاهرَ والأعشابَ طلعتُها

إذا بدتْ ولها فيهنَّ إخفاءُ

* * *

كزهرةِ الحقلِ فى غَيْناءِ سُرْحتِها

لم يملأِ النورُ منْ أجفانِها حَدَقا

حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هاجرةً

زكتْ واربتْ على أملودِهَا ورْقا

وأرَّجَ الحقلَ من أنفاسِها عبقٌ

يشوقُ كلَّ جناحٍ نحوها خَفَقَا

تهفو إليها من الأنسامِ أجنحةٌ

منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَا سَرَقا

* * *

ووقعُ لحنكَ فى الأسحارِ أرخمُ من

وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ

قد نقَّط الزَّهَرَ المنضورَ سلسلهُ

وجادَ بالطلِّ أفوافَ الرياحينِ

يا منْ على صوتهِ فى الأفْقِ منسجماً

تصحو الأزاهرُ فى أفنانِها الغينِ

كلُّ البدائعِ مهما افتنَّ مبدعُها
لم تَعْدُ لحنَكَ فى صَوْغٍ وتلحينِ

* * *

قل لى : أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ
أم طائرٌ أنتَ فى الآفاقِ هيمانُ ؟
أىُّ الخواطرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ
يُشيعها منكَ فى الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشرئبَّ قلوبٌ من أضالعها
لغيرِ صَوْتِكَ أو تنصبَّ آذانُ
حديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ
من جانبِ اللّهِ أنغامٌ وألحانُ !

* * *

من أينَ تلك الأغانى أنتَ تُرسلُهَا ؟
من أىِّ مطَّرِدِ الينبوعِ مُنَسجِمِ ؟
من أىِّ ثائرةِ الأمواجِ زاخرةٍ ؟
أىِّ السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟
وأىِّ حبٍّ أليفٍ منكَ أو وطنٍ ؟
وأىِّ جهلٍ لما نلقاهُ من ألمٍ ؟

* * *

وفى منامكَ والآفــاقُ حــالمةٌ

وفى انتباهكَ والظلماءُ إصغاءُ

لابدَّ من نبأٍ للموتِ تعرفُهُ

وفى فؤادكَ عنهُ اليومَ أشياءُ

لأنْتَ أعمقُ فكراً فى حقائقهِ

مما نراهُ ونحنُ اليومَ أحياءُ

أو لا ! فكيفَ انسجامُ اللَّحنِ مطَّرداً

يُجريهِ من رائقِ البلَّورِ لألاءُ ! ؟

* * *

إنا نفكِّرُ فى ماضٍ بلا أثرٍ

ومُقبلٍ من حياةٍ كلها غيبُ

ومستحلٍ نرجِّى برقَ ديمَتِهِ

وكلُّ ما نرتجيهِ منهُ مختلبُ

وكم لنا ضحكاتٌ غيرُ صادقةٍ

ما لم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ

وإنَّ أشهى الأغانى فى مسامِعِنا

ما سالَ وهو حزينُ اللحنِ ، مكتئبُ !

* * *

هَبْنَا على رَغْمِ هذا ليسَ يَجـمـعُنَا

بالحـقـدِ أو كـبـرياءِ النَفْسِ أوهاقُ

فـلا القلوبُ لدى البأسـاءِ جازعـةٌ

ولا بـهنَّ إذا رُوِّعنَ إشـــفـــاقُ

وإننا قـــد دَرَجْنا فى خَليــقـــتِنَا

بـلا دمـــــوعٍ تذرّيـهنَّ آمـــاقُ

فكيفَ كنا إذاً نلقـــاكَ فى فـــرحٍ !

أو يغمر الروحَ لحنٌ منه رَقْراقُ ! ؟

* * *

يا أعذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا

من كلِّ رائقِ أنـغـــامٍ وألحـــانِ

ويا أعــزَّ لنا من كلِّ مـا جـمـعتْ

نفـــائسُ الكُتْبِ من دُرىٍّ تبـــيـانِ

يا مـا أحقَّ اقـتـدارا منكَ قـدرتهُ

بشـــاعـــرٍ لَبِقِ التـــصـــويرِ فنَّانِ

أنتَ المبـــرَّأ فى حُبٍّ وعـــاطفـــةٍ

يا من تعـاليتَ عن أرضٍ وإنسـانِ

* * *

أمــــا تُعلِّمنى مما يفــــيضُ بهِ

غناؤكَ العَذْبُ تطراباً وتحنانا !

ذاكَ الحنونُ الذى يُهدى توافـقـهُ

إلىَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألحـانا !

ألستَ تُلهـمنى وحـيـاً يفـيضُ به

فـمى ، فَأمـلأُ قلبَ الكونِ إيمـانا !

أشـدو فـيُلقـى إلىَّ الكونُ مِسـمـعـهُ

يُصـغى إلىَّ كما أصـغى لَكَ الآنا !

✍ ✍ ✍

١٦ – الملاّح التّائه

أيهـــا الملاّحُ قمْ واطوِ الشِّراعــا

لِمَ نـطوى لُجّةَ الـلّيلِ سِرَاعـــا

جَدِّفِ الآنَ بــنـــا فـــى هِيــنــةٍ

وجـهـةَ الشـاطئِ سـيـراً واتّبـاعـا

فَغَداً ، يا صـــاحـــبى ، تأخُذُنا

مــوجـةُ الأيّام قــذفـاً واندفـاعـا

عَبَثـاً تقــفـو خُطى الماضى الذى

خِلْتَ أنّ البـحــرَ واراهُ ابتــلاعـا

لـم يكنْ غـــيــرَ أويقـــاتِ هوىً

وقــفتْ عن دوْرَةِ الدهرِ انقطاعــا

فــتَمَهّلْ ، تسـعـــدِ الرُّوحُ بما

وهِمَتْ ، أو تطربِ النفسُ سـمـاعـا

وَدَعِ اللـيلـةَ تمـضـى ، إنـهــــا

لـم تكنْ أولَ مــــا ولّى وَضَاعـــا

ســوفَ يبـدو الفــجــرُ فى آثارها

ثمّ يمـــضـى ، وَدَوَاليكَ تِبَاعـــا

هذهِ الأرضُ انتــــشتْ مما بهــا
فَغَفَتْ تحلُم بالخلدِ خــداعـــا
قــد طَوَاها الليلُ حــتى أوشكتْ
من عـميقِ الصمْتِ فـيه أنْ تُراعـا
إنّهُ الصــــــمتُ الذى فـى طيِّه
أسفرَ المجهولُ ، والمستورُ ذاعـا
سَمِعَتْ فــيــه هُتــافَ المنتــهَى
من وراءِ الغـيبِ يُقـريهـا الوَدَاعـا
أيهــا الأحــيــاءُ ، غنُّوا واطرَبوا
وانهـبـوا من غَفَلاتِ الدّهرِ سـاعـا

* * *

آهِ ، مـــا أروعَهـــا من ليلةٍ
فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا
نَفَخَ الحـبُّ بهــــا مـن روحِهِ
ورَمَى عن سرِّها الخـافى القناعـا
وَجَلا مــن صُوَرِ الحُسْنِ لــنـا
عــبــقــرياً لَبِقَ الفنِّ صَنَاعـــا
نفـحــاتٌ رَقَصَ البــحــرُ لهــا
وهفَا النجمُ خُفـوقـاً والتـمـاعـا

وسـرى من جـانبِ الأرضِ صـدىً

حرَّكَ العُشْبَ حـنـانـاً والـيرَاعــــا

بَعَثَ الأحـــلامَ من هـجـــعـــتِهـــا

كــســرايا الطَّيْرِ نُفِّرْنَ ارتـيـــاعــا

قُمْنَ بالشـــاطئِ من وادى الهـوى

بنشــيـدِ الحبِّ يهـتـفنَ ابتــداعـا

أيهـــا الهـــاجــرُ عــزَّ المُلتــقى

وأذبتَ القلب صــــدا وامـــتناعـــا

أدرك التـــائهَ فى بـحـــرِ الهـــوى

قَبْلَ أنْ يقـــتلَهُ الموجُ صراعــــا

وارعَ فى الدنيـــا طريداً شـــارداً

عنهُ ضـاقتْ رقـعةُ الأرضِ اتساعا

ضـلَّ فــى الـلـيـل سُراهُ ، ومَضَى

لا يَرى فى أفُقٍ منـه شُعَاعـــــــا

يجـــتـــوى اللافحَ من حَرْقـــتهِ

وعـذابٍ يُشـعلُ الرُّوحَ التـيـاعـا

والأسـى الخـــالدَ من مـــاضٍ عفَا

والهـوى الثـــائرَ فى قلبٍ تداعى

فـــاجــعلِ البـــحـــرَ أمـــاناً حــولَهُ

واملأِ الســهلَ سـلامـاً واليَفَاعـا[1]

وامــــســـحِ الآنَ عـلـى آلامــــهِ

بيـدِ الرفقِ التى تمحـو الدُّمـاعـا[2]

وَقُدِ الـــفُلْـــكَ إلـــى بَرِّ الــرِّضــى

وانشُرِ الحبَّ على الفُلْكِ شِراعــا

✍ ✍ ✍

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدَّمَّاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمَهّلى فـــراشـــةَ الصّبـــاحِ

أسْرَفْتِ فـــى الـــغُدوِّ والـــرّواحِ

مـــاذا ارتيـــادُ الطُّرُقِ الفِســـاحِ

والوثبُ فـــوقَ العُشْبِ والصُفّاحِ

بـين الـرّوابـى الخُضْرِ والـبطـاحِ

بـالشّعَرِ المهـــدّلِ الســـبّاحِ

كـالموجِ تحتَ العـاصفِ المجـتـاحِ

والنهـــدِ وهـو مُطْلَقُ الســـراحِ

يخـــفقُ بين الصـــدرِ والوشـــاحِ

والســـاقُ خَلْفَ الســـاقِ فى كـفـاحِ

فى حَلْقَةٍ طاغـــيـــةِ الجـــمـــاحِ

تدورُ مـــثْلُ البـــارقِ اللمّاحِ

تـــودُّ لـــو طـــارتْ مـــع الـــريـــاحِ

وحلّقَتْ فى كـــبـــدِ الصُّراحِ

بلطفِ هذا الجـــســـدِ المـــراحِ

وخِفّةٍ فـى روحـكِ الصـــــــداحِ

تكادُ تُغْنِى الطيــــرَ عن جَنَاحِ !

يا لـهَواءٍ عـــابثٍ مـــفـــراحِ

سكرانَ ، لا من خـمـرةِ الأقـداحِ

بَلْ من صبِـاكِ ، والصِّبـا كـالرَّاحِ

يرفـعُ طرفَ الثـــوبَ فـى مـــزاحِ

لا يَستَحـــى مـــن لائـــمٍ ولاحـــى

✍ ✍ ✍

١٨ – على حاجز السفينة

- حَنَتْ على حاجزِ السفينة

تـرنـو إلـى الـرَّغْوِ والـزَّبَـدْ

- كـأنها الفتنةُ السجينة

تمضى بهـا لُجَّةُ الأبـدْ

- نَبَتْ بهـا ضَجَّةُ المكانِ

يزَينها الصَّمْتُ والجـلالُ

- والبـحرُ من حـولها أغـانى

والسُّحْبُ والريحُ والجـبـالُ

- ساحـرةٌ وحـدها تُطِلُّ

بِمـلْتَقَى الـنـورِ والـظـلامِ

- لا تسـأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ

تَهـامَس الشُّهْبِ والغـمـامِ

- تُصْغِى إلـى الموجِ والـرياحِ

فـى مَعْزِلٍ شـاقَ كلَّ عَيـنْ

- كـأنها نجمـةُ الصـباحِ

مُطِلَّةٌ من سـحـابتـينْ

- هفهافةُ الثوبِ فى بياضٍ

يكادُ عن روحهــا يشفُّ

- لأىِّ ذكرى وأىِّ ماضٍ

يَسْرى بها خاطرٌ ويَهفو ؟

- وما وراءَ العُبابِ تَبْغِى

وأىُّ سرٍّ لها تَبدَّى

- وأىُّ لحن إليه تُصغى

بروحها الحالمِ استبدَّا ؟

- عجبتُ للبحرِ ما عَرَاهُ

يودُّ لو مسَّ ناظريها

- يتاخمُ النَّجمَ فى علاهُ

ويَنثنى جاثياً لديها

- وهائمٍ فى الفضاءِ صَبٍّ

مُجنَّحٍ لا يَبينُ طيفا

- كم ودَّ لو - من ضَنَى وحُبٍّ

هَوَى على صدرها واغفى

- كم بثَّ من أنَّةٍ و الْقَى

بهمْسةٍ ضائعٌ صداها

- ياوَيحهُ لا يَحيرُ نُطقا
فكيفَ تُلْقِي له انتباها ؟
- أنفاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِي
عليلةٌ خفْقُها اضطرابُ
- كآهةٍ فى فَمِ المُغَنَّى
جريحةٍ لَحنُها العذابُ
- يدنو ، ويرتدُّ فى حياءِ
يُجاذبُ الثوبَ والشَّعَرْ
- وكلما كلَّ من عياءِ
أثارهُ الوجدُ فاستعَر
- يضمُّها راعشاً ، ويمضى
مُباعداً ، وهو ما ابتعدْ
- كأنَّهُ بالحنينِ يقضى
لُبانةَ الرُّوحِ و الجَسدْ
- والقمرُ الطالعُ الصغيرُ
أزاحَ عن وجهِهِ السَّحابا
- وقد جرى ضوءه الغريرُ
يستشرفُ الأفقَ و العُبابا

- ألمرحُ العــابثُ الطروبُ

لما دعــا باســمــهِ الشــروقُ

- نادتْ به مــوجــةٌ لعــوبُ

إلىَّ .. يـا أيّهـــا الشــــوقُ

- طالَ علـى المنْتَأى طُروقـى

وطالَ مـــســـراكَ فـى السَّمــاءِ

- فَنَمْ على صـدرىَ الخـفـوقِ

واحْلُمْ بمــا شِئْتَ مــن هــنــاءِ

- وأنْسِنى وحـشـةَ الليـالى

بقُبْلةٍ منكَ ، يا حـــبـــيـــبى

- لكنَّهُ مــرَّ لا يبــالى

ولجَّ فى صــمـــتــهِ العــجـيبِ

- مــذ أبْصَرَتْهُ انثنى ومــرَّا

قــالتْ ، ومن دمــعــهــا مَسِيلُ :

- لأنتَ مـثلُ الرجــالِ طُرًّا

يا أيُّهــا الخــائنُ الجــمــيلُ

- وهبـتُكَ الغضَّ من شـبـابى

سـكرانَ من خــمــرِ أمــســيـاتى

- فـأينَ تمضى على العُبابِ
  من صَوْتِ حُبّى وذكــــريـاتـى ؟
- ومن هـىَ الغــادةُ التى
  تنسلُ من مـخـدعى إليـهـا
- أعندها مـثلُ فـتنتى
  أم أننى أفْتَرِى عليـهـا ؟
- إذهبْ إليـهـا ودعْ ذمـامى
  فـديتُكَ ، اسْلَمْ علـى التـنائـى
- إذْبَحْ على صـدرها غـرامى
  وامـلأ لهـا الكأسَ من شـقـائى
- والْهُ مع الغيـدِ والعـذارى
  وغـنِّ بـالـكـأسِ والـوتـرْ
- وانـقـعْ مـن الـغُلَّةِ الأوارا
  واقـطف مـن الـلَّذةِ الـثَّمـرْ
- أبوكَ ، والطبعُ لا يحـولُ ،
  وَرِثْتَهُ خِلْقـةً و خَلْقـا
- يا أيهـا القَلْبُ الملولُ
  من قـبـضـتى لن تنالَ عِتْقـا

- مُطاردٌ أنتَ باشتياقى
  ما جُبْتَ أرضاً وجُزْتَ بحرا
- مُقَيَّدٌ أنتَ فى وثاقى
  وإنْ رأتْكَ العيونُ حُرّاً
- لأنتَ مهما كَبُرتَ طِفْلِى
  يا ابنَ الهوى البكْرِ والألَمْ
- خُطاكَ مسبوقةٌ بظلّى
  وإنْ تعلَّقْتَ بالقِمَمْ
- سأحفظُ العَهدَ مِنْكَ دَوْما
  وأَقطَعُ العمرَ فى انتظارِكْ
- وسوف تأوِى إلىَّ يوما
  تبكى ، وأبْكى إلى جوارِكْ
- ضراعةٌ من عذابِ أنْثَى
  مَشَتْ على المائجِ الغضوبِ !
- صغا لها الليلُ واستحثَّا
  سواكنَ الريحِ للهُبوبِ
- وحدّقتْ فى الدُّجَى نجومٌ
  غَيْرَى ، تغامزنَ بالخبرْ

- وغمغمتْ نجمةٌ رؤومُ
أما يرى ضوءَهُ القمرْ ! ؟
- أما يرى ذلكَ الصَّبِيًّا
يُؤَلِّبُ البحرَ والظلاما ؟
- فيا لَهُ فاتنا خَلِيًّا
يُزَوِّرُ العشقَ والغراما !
- كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلهْ
لم تَرْوِها عنه شهرزادُ
- وكم عناقٍ لهُ وقُبْلهْ
فى كِذْبةٍ لفظُها مُعادُ
- فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حسِّهْ
مفاتنَ الناسِ والطبيعة
- مُردِّداً فى قرارِ نفسهْ
ما أبشعَ الغيرةَ الوضيعة ؟
- وارتعشَ الضوءُ ثم أضْفَى
من حولِهِ الصفوَ والسَكينَة
- وابتسمتْ نفسُهُ فألْفَى
خطاهُ فى جانبِ السفينَة

- فـراعَةُ ذلكَ الجـمـالُ

جـمـالُهـا الصّامتُ الحـزينُ

- فشـاقَهُ الشِّعرُ و الخـيالُ

وهـزَّهُ الـوجـد والحـنيـنُ

- فـقـالَ : يا روعـةَ المسـاءِ

وفتنـةَ اللُّبِّ و الـبـصـر

- قـد آذنَ الليلُ بانقـضـاءِ

وأنتِ مـوصـولةُ السـهـر

- أيّتُهـا المَلَكَةُ الكسـيـرةْ

أيتُهـا الربَّةُ الخـجـولَة

- أيتُهـا الطفلةُ الكبـيـرة

لن تَبْرَحى عـالَم الطفـولَةْ !

- أعلمُ مـا تكتـمـينَ عنِّى

وإنْ تـلـثَّمْتِ بالخـفـاءِ

- خـمسُ ليـالٍ وأنتِ منى

مـتـبـوعـةُ الظلِّ باشـتـهـائى

- قـد كنتُ أزْهَى بما عـرفتُ

من فِتَنِ الحـسـنِ والدلالِ

• لكنَّنى الليلةَ اكتشفتُ

أروعَ ما شِمْتُ من جمالِ

• عشقتُ فيكِ الهوى و ذُلَّهْ

فى زَهْوَةِ الحسنِ والشبابِ

• وذلكَ الصَّمتَ ، ما أجلَّهْ

فى عالمِ اللَّغْوِ والكِذابِ

• هاربةٌ أنتِ ، يا فتاتى

من ثورةِ الشكِّ والرِّيَبِ

• هَرَبْتِ من ضجَّةِ الحَياةِ

فكيفَ من نفسكِ الهَرَبْ ؟ !

• بها ابدئى أولاً فسلِّى

وردكِ من شوكِهِ الأثيمِ

• لا البُعْدُ يجدى و لا التسلِّى

كطعْنكِ الغدْرِ فى الصميمِ

• منيهةٌ لم يَطُلْ مَداها

تروعُ بالصَّمتِ و الشحوبِ

• لم يبلغِ الليلُ مُنتهاها

إلاَّ على رَوْعَةِ المغيبِ

- والتفتَ الضوءُ للوداعِ
  يهمسُ فى رِقَّةٍ و وجدِ
- يا ربَّةَ الحسنِ لا تُراعِى
  فلْتَرْعَكِ الكائناتُ بعدى
- يا ليلُ ، يا موجُ ، يا رياحُ
  أيتُّها السُّحْبُ و الظلالُ
- أيتها الغُورُ و البِطاحُ
  أيتها الشهبُ و الجبالُ
- فى الجوِّ ، فى الماءِ ، فى الثرى
  صونى لها العهدَ والودادا
- رُدِّى على عينها الكرى
  وابْعِدِى الفِكْرَ و السهادا
- وانقذيها مِنَ الجوى
  يا عاشقاتى على الزَّمانِ !
- بكلِّ ما فيكِ من قُوَى
  وكلِّ ما فىَّ من حنان ! !

✍ ✍ ✍

١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ فى الظلامِ ولم تَزَلْ

عــــينایَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عـــابرِ

ويطيــرُ ســمــعى صــوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ

فى الأفقِ تخــفقُ عن جَناحيْ طائرِ

وترفُّ روحى فــوقَ أنفــاسِ الرُّبا

فلعلَّهـــا نَفَسُ الحــبـــيبِ الزائرِ

ويَخِفُّ قلبى إِثرَ كلِّ شُعـــاعـــةٍ

فى الليلِ تومضُ عن شــهابٍ غـائرِ

فلعلَّ مـن لَمَحَاتِ ثغـــــركَ بـارقٌ

ولعلَّه وَضَحُ الجـبـينِ الناضــرِ

لـيلٌ مـن الأوهـامِ طالَ سُهـــــادُه

بين الجوَى المضنى وهجسِ الخاطرِ

حــــتى إذا هَتَفَتْ بمقــدمِكَ المُنى

وأصــخْتُ أسترعى انتـباهةَ حـائرِ

وسَرَى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى

نشـوانَ يعبقُ من شذاكَ العـاطرِ

وترنّم الوادى بسلسلِ مـــائهِ
وتَلَتْ حمـائمُهُ نشيدَ الصـافرِ
وأطلّتِ الأزهارُ من ورَقـــاتهـــا
حيـرى تَعجَبُ للربيعِ البـاكـرِ
وَجَرَى شُعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصاً
طَرِباً على المرجِ النضـيـرِ الزاهرِ
وتجلتِ الدنيـا كـأبهجِ مـا رأتْ
عـينٌ وصـوَّرها خـيـالُ الشـاعـرِ
ومـضتْ تُكذِّبنى الظنونُ فـأنثنى
مُتـسـمِّعـاً دقـاتِ قلبى الثـائرِ
أقبلْتَ بالبـسـمـاتِ تملأُ خـاطرى
سـحـراً وأمـلأُ من جـمالكَ ناظرى
وأظلّنا الصـمتُ الرهيبُ ونحنُ فى
شكٍ من الدنيـا وحلمٍ سـاحـرِ
حتى إذا حـانَ الرحيلُ هتـفتَ بى
فـوقـفتُ واسـتَبَقَتْ خُطاكَ نواظرى
وصـرختُ بالليلِ المودِّع باكـيـاً
ويداكَ تمسكُ بى وأنتَ مـغـادرى

يا ليــتنا لم نَصْحُ منكَ وليــتَهــا

مــا أعــجلتكَ رَحَى الزمــانِ الدائرِ

* * *

ولقــد أتتْ بعــدُ الليــالى وانقـضتْ

وكــــأننا فى الدهرِ لم نتـــزاورِ

بُدِّلتُ من عَطْفٍ لديكَ و رقــــةٍ

بحنينِ مـهـجورٍ وقـسـوةِ هاجـرِ

وكــأننى مــا كنتُ إلفَكَ فى الصِّبَا

يومــاً ولا كنتَ الحـيـاةَ مـشـاطرى

ونسـيتَ أنتَ ، ومـا نسيتُ ، وإننى

لأعيشُ بالذكرى .. لعلَّك ذاكرى !!

٢٠ - البحر والقمر

تَسَاءَلَ الماءُ فيكِ والشَّجرُ

من أين يا « كانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟

البحرُ والحورُ فيهِ سابحةٌ

رُؤًى بها باتَ يَحْلُمُ القَمَرُ !

أطلَّ والضوءُ راقصٌ غَزِلٌ

دعاهُ قلبٌ ، وشاقَهُ بَصَرُ

يهمسُ فيما يراهُ من فِتَنٍ

آلهةٌ هؤلاءِ أم بَشَرُ ؟

يقفزُ من لجةٍ إلى حجَرٍ

كأنما مَسَّ روحَهُ الضَّجَرُ

معربداً لا يريمُ سابحةً

إلاَّ ومنهُ بثغرها أثَرُ

من كلِّ حوَّاءَ مثلما خُلِقَتْ

يعجبُ منها الحرير والوَبَرُ

أَلْقَتْهُ عنها رقائقاً ونَضَتْ

جسماً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

فى حـــانةٍ مـــا علّتْ بهـــا عُمُدُ

ولا اســـتـــوى فى بنائهـــا حَجَرُ

جُدرانهـــا الماءُ ، والســـمـــاءُ لهـــا

ســـقـــيـــفـــةٌ ، والنســـائمُ السُّتُرُ

خـــمّارُها مُنْشِدٌ ، وســـامـــرُها

حـــورٌ تلوّى ، وفـــتـــيـــةٌ سكروا

لم تَبْقَ فى الشطِّ منهـــمـــو قَدَمٌ

قد خوّضـوا فى العباب وانتثروا

وشيّعـوا العـقلَ حـينمـا شـربوا

وَوَدّعـوا القلبَ حـيـثـمـا نظروا

والسـابحـاتُ الحسـانُ حـولهمو

كـــأنهنَّ النجـــومُ و الزَّهَرُ

يزيدُ ســـيـــقـــانَهنَّ من بَهَجٍ

لونٌ عـجـيبُ الرُّواءِ مـبـتَكَرُ

يضـىءُ ورداً وخـمـرةً وسنىً

ذوبٌ من المغـــريات مُعْتَصَرُ

تغـــــايـر الموجُ إذ طلـعـنَ بـه

وثارَ من حـــولـهنَّ يشـــتَجِرُ

بهنَ يلتفُّ مُرْتَقىً وَيُرَى

ينشقُّ عنهنَّ فيه مُنْحَدَرُ

منفتلات قدودُهُنَّ كما

ينفتل الغصنُ آده الثمرُ

مُلَوَّحات بأذْرُعٍ عَجَبٍ

تحذرهنَّ النهودُ و الشَّعَرُ

والضوءُ فوق الخُصور منهمرٌ

والماءُ تحت الصدور مستعرُ

مازِلْنَ والبحر في تَوَثُّبِهِ

يُرْغِي كما راع قَلْبَهُ خطرُ

قد جاوز الليلُ نِصْفَهُ فمتى

تؤمُّ فيه أصدافَها الدُّرَرُ

فليصخبِ البحرُ ولتئنَّ به

رماله ، وليثرثرِ الشجَرُ

ولتعصفِ الريحُ فوق مائجه

ولينبجس من غمامه المَطَرُ

أقسمنَ لا ينتحين شاطئَهُ

وإنْ تَرامَى بمائه الشررُ

حــــتى يُرَى وهـو فـــــضَّةٌ ذَهَبٌ

تمـازجَ الليلُ فـــيـــه والسَّحَرُ !

✍ ✍ ✍

٢١ - حلم ليلة

إِذَا ارتقى البــدرُ صــفــحــةَ النهــرِ

وضـــمَّنا فـــيـــهِ زورقٌ يجـــرى

وداعـــبتْ نَســـــمـــةٌ من العطرِ

علـى مُحـــيَّاكِ خُصْلَةَ الشَعـــرِ

حَسَوْتُهـــا قـــبلـةٌ من الجَمـــرِ

جُنَّ جُنونـى لـهـــا ومـــا أدرى

أىَّ مـــعـــانى الفـــتـــونِ والسِّحـــرِ

ثغـــرُك أوحى بـهـــا إلى ثغـــرى !

حلْمُ مـــســـاءٍ أتـاحـــهُ دهـرى

غرَّدَ فـــيـــهِ الحـــبـــيسُ فى صـــدرى

✍ ✍ ✍

٢٢ - إعتراف

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسى
وتَوَلَّعتُ بالحسانِ لأنِّى مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ
وتَوَحَّدتُ فى الهوى ثُمَّ أشركتُ على حالتىْ رجاءٍ ويأسِ
وتَبذَّلتُ فى غرامى فلم أحبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسى
فبِرُوحِى أعيشُ فى عالمِ الفنِّ طليقاً والطهرُ يملأُ حسِّى
تائهاً فى بحارِهِ لستُ أدرى ، لِمَ أزْجى الشراعَ أو فيمَ أرْسى
لىَ قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ نَمَتْها السماءُ من كلِّ قَبْسِ
هو قيثارتى عليها أغنِّى وعليها وَحْدِى أغَنِّى لنفسى
لِى إليها فى خَلْوَتى همساتٌ أنْطَقَتْها بكلِّ رائعٍ جَرْسِ

* * *

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتى وهَجُ النّارِ فى عواصفَ خُرْسِ
ووسادٍ جَرَتْ بِهِ عبراتى ضِحكُ يومى منه وإطراقُ أمسى
أيُّهذِى الخدورُ أنوارُكِ الحمراءُ كم أشْعَلَتْ ليالىَ أنسى
أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سوى ذلكَ الرَّمادِ برأسى !

٢٣ - أندلسية

حسنُكِ النشوانُ والكأسُ الرويَّةْ
جدَّدا عهد شبابى فسكَرْتُ
حلْمُ أيامٍ ولَيْلاتٍ وضيَّةْ
عَبَرَتْ بى فى حياتى وعبرتُ
أنا سكرانُ وفى الكأسِ بقيَّةْ
أىُّ خمرٍ مَنْ جَنَى الخلد عصرتُ ؟
آهِ ، هاتى قرِّبى الكأس إليَّهْ
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةْ

* * *

لا تقولى أىُّ صوتٍ ملْهِمِ
قَادَ روحينا ، فجئنا ، والتقيْنا
دمُكِ المشبوبُ فيه من دمى
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أخْتَ روحى ! قرِّبيها من فمى
إنْ شَربنا أو طربنا ما علينا

آهِ هاتيــهــا من الحـــسنِ جَنيَّة

واســقْيــهــا أنتِ ، يا أندلسـيَّة

* * *

كـــانتِ النظرةُ أولى نظرتينْ

ثُمَّ صـــارَتْ لفظةٌ مـــا بَيْنَنا

والهـوى يَعْجبُ مِنْ مـغـتـربَيْنْ

لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قـــالتْ أنا

وَسَبــحْنا فـوقَ وادٍ من لُجـينْ

تَحْتَ أفقٍ من غـمـــامٍ وسَنَى

أتمـلأهـا سِمـــاتٍ عـــربيـــة

وأنـادى أنـتِ ، يا أندلســـيـــة

* * *

صِحْتُ يا للشَّمسِ فى ظلَّ المغيبِ

تـلـثـمُ الـزَّهْرَ وأوراقَ الـشَّجَرُ

خِلْتُهـا بين مـحبٍّ وحـبـيبِ

قُبْلَةٌ عــــنــــدَ وداعٍ وَ سَفَرُ

فـانثنتْ تنظرُ للوادى العــجـيبِ

صُوَراً يَذْهَبْنَ فـــى إثْرِ صُوَر

ويسمعي همسةٌ منها شَجية

وبروحي أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ونزلنا عِنْدَ شطٍّ من نُضارِ

وانتحينا خلوةً بعد زحام

قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ :

ألَكِ الليلةَ في لحنٍ و جام ؟

ما على مغتربيْ أهْلٍ ودارِ

إِنْ أدارا ها هنا كأس مدام ؟

آهِ هاتيها كخدَّيكِ نقيَّة

واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّة

* * *

واحتوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطربِ

حانةٌ مِثلُ أساطيرِ الزَّمانِ

صَوَّرتْ جدرانُها بِالذَّهبِ

فِتَنَ العشق وأهواءَ الحسانِ

قالتِ : اشربْ قُلْتُ لبَّيكِ اشربي

مِلء كأسين فإنَّا ظامئانِ

خمرةٌ روميةٌ أو بابليّهْ
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيةْ

* * *

هتفتْ بى ويداها فى يدى
تدفعُ الكأسَ بإغراءٍ وعُجْبِ
أىُّ قيثارٍ شجىٍّ غَرِدِ
خلْتُهُ ينطقُ عَنْ أسرار قلبى !
قلتُ طِفلٌ من قديم الأبدِ
يمزُجُ الألحانَ مِن خَمْرٍ وحُبِّ
ملءُ كأسٍ فى يديهِ ذهبيةٌ
فاسقنيها أنتِ ، يا أندلسيةٌ

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالرواحِ
كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صَبٍّ
وخبا المصباحُ إلاَّ كأسَ راحِ
نورُهُ ما بين إيماضٍ ووثبِ
قد تحدَّى وهْجُهُ ضوءَ الصباحِ
فَبَقَيْنا حولهُ جَنْباً لِجَنْبِ

نتساقاها على الفجرِ نديةً
وأغنّى أنت ، يا أندلسيةً

* * *

يا عروسَ الغربِ ، يا أندلسيةً
بَعُدَتْ داركِ و الصيفُ دنا
أينَ أحلامُ اللّيالى القمريةً
والبحيراتُ مُطيفاتٌ بِنا ؟
أتذكرى بينَ الكؤوسِ الذّهبيةَ
حانةً ، يا ليتها دامَتْ لَنَا
حين أدعوكِ صباحاً وعشيةً
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيةً

✍ ✍ ✍

٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةٌ أهْدَتِ الخـــيـــالَ إلـينا

ودعَتْنا لموعـــدٍ فـــالتـــقـــينا

ههنا تحتَ ظُلّةِ الغـابةِ الشـجـرا

ءِ سِرْنا ، والفـــجـــرُ يحنو علينا

وقَطَفْنـا مـن زَهْرِهـا ، وانـثـنـيْنا

فَجَنَيْنا تُفّاحـــهـــا بيـــدينا

وَمَرِحْنا بهـــا ســـحـــابةَ يومٍ

وبأشـــجـارها نقـشْنا اسـمـينا

* * *

ههنا يا ابنةَ البـحـيـراتِ والأوديةِ الخُضْرِ والرُّبَى والجـبـالِ

صَدَحَ الحبُّ بالنشـيـد فلبَّينا نداءَ الهـوى وصـوتَ الخـيـالِ

وَتَبِعْنا على خُطَى الفجرِ موسيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ

وسـمـعنا حـفيفَ أجنحـةٍ تهفـو بهـا الريحُ من كـهـوفِ الليـالى

* * *

قُلْتِ لى والحـيـاءُ يَصبُغُ خـدَّيْكِ : أنارٌ تمشى بهـا أمْ دمـاءُ ؟

مِلءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سكَارى وصـبوةٌ واشـتـهـاءُ

وعلى ثغرِكَ المشوقِ ابتسامُ

ضَرَّجَتْهُ الأشواقُ والأهواءُ

أوَ حقاً دُنياكَ زهرٌ وخمرٌ

وغوانٍ فواتنٌ وَ غناءُ ؟

* * *

قُلْتُ : يا فتنةَ الصِّبا حَفِلَتْ دنياكِ بالحبِّ والمُنَى والأغاني

ما أثارتْ حرارةَ الجَسَدِ المشتاقِ إلاَّ مرارةُ الحرمانِ

إنَّ أجسادنا معابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فتَّانِ

أنا أهوى روحيَّةَ العالم المنظورِ لكنْ بالجسمِ والوجدانِ

* * *

ما تكونُ الحياةُ لو أنكرَ الأحياءُ فيها طبائعَ الأشياءِ !

أنا أهواكِ كالفراشةِ صاغتها زهورُ الثرى وكفُّ الضياءِ

أنا أهواكِ فِتْنَةً صاغها المثَّالُ من طينةٍ ومن إغراءِ

أنا أهواكِ بدْعةَ الخلد صيغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حوَّاءِ

* * *

أنا أهواكِ من آثامٍ وطُهْرٍ

حُلْمَ إغْفاءَتي وصَحْوَ غرامي

أنا أهواكِ تُبْدعــــينَ يقــــينى من نســــيجِ الظُّنونِ والأوهـامِ

أنا أهـواكِ دِفْءَ قلبى ويَنْبُوعَ اشــتــهــائى ، وشِرَّتى ، وعُرامِى

وحـنـانـاً مُجـــــسَّداً إنْ طـوانـى اللـيلُ وسدَّتْ صَدْرَهُ آلامـى

* * *

يا لَلطريقِ الضــيِّقِ الصَّاعــدِ بين ربوتينْ

كـــأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطىً لعـــاشــقــينْ

الشَّجَراتُ حـــولهُ كـــأنهـــا أهدابُ عَيْنْ

كـعــهـدِهِ بصــاحبِ الدَّارِ ظليلَ الجــانبيـنْ

نَبَّأَهُ الــصَّدَى المــرنُّ عــن قُدومِ زائــريــنْ

فى فــجــرِ يومٍ مــاطرٍ شَقَّ حـجـابَ ديمـتــينْ

كــــأنما يَنْزِلُ مـنـهُ الـوحـىُ حَبَّاتِ لجـــينْ

فــانتــبــهتْ خــمــيلةٌ تهــزُّ عُشَّ طائرينْ

وشـــاعَ فى الـغــابةِ هَمْسٌ من شــفــاهِ زهـرتين

مَنِ الـغــريبــانِ هُنا ؟ ومــا سُراهمــا ، وأينْ ! ؟

مــاذا قــدومــهُمــا والغــيثُ مدرارُ

لا صـــاحبُ الدَّارِ طلاَّعٌ ولا الدَّارُ

هذى البـحيرةُ وَسْنَى ، حلْمُ ليلتـها

لمَّا تُفِقْ منهُ شطئـــانٌ وأغــــوارُ

والأرضُ تحتَ سـحـابِ الماءِ أخيلةٌ
مما يُصـــــــــوِّرهُ عُشْبٌ ونُوّارُ

والصبحُ فى مهدِهِ الشرقىِّ ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسـيجِ الغَيْمِ أسـتارُ

حتَّى الجبـالُ فمـا لاحتْ لـها قِممٌ
ولا شـدا لرُعـاةِ الضـأنِ مـزمـارُ

فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ
لوَقْعِ خطوِهمـا والأرضُ أبصـارُ !

أعـادَ منْ زَمَنِ الأشـبـاحِ سـامـرُهُ
فـالليلُ والغـابُ أشبـاحٌ وأسْمـارُ ؟

أمِ البــحــيــرةُ جِنّيـاتُها طلعتْ
فـــهبَّ مـــوجٌ يناديهـــا وتَيَّارُ !

أمْ راصداً كوكبٍ ضـلاَّ سبيلهمـا
لَمَّا خَبَتْ من نجـــومِ اللَّيلِ أنوارُ

أمْ صاحبا سَفَرٍ مالَ الضّنَى بهما
حَوَتْهـــمـــا جَنَّةٌ للفنِّ مـــعْطارُ

أم عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟
وهل مَعَ الفـجـرِ عُشّاقٌ وزوّارُ ؟ !

وأمسكَ الغيثُ كما لو كانَ يُصغي مثلَنا

واعتنقتْ حتى وُريْقاتُ الغصونِ حولَنا

كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصُنَا

وانبعثَ اللحنُ الشجيُّ من هنا ومن هنا

يثورُ في إيقاعِه قيثارةٌ وأرْغُنَا

كأنَّ جِناً في السماءِ يُشْعلونَ الفِتنَا

كأنَّ أرباباً بها يُحاكمونَ الزَّمَنَا

يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرفُ ما هجْتَ بنَا

ألفجرُ ؟ أم ثارتْ على الشمس بوارقُ السَّنى ؟

مَالَكَ قد غَنَّيتَهُ هذا النشيدَ المحزنَا

غَنَّيْتَهُ آلهةً أمْ أنتَ غنَّيْتَ لنا ؟

ما ذلكَ الصوتُ شاجي اللحنِ سَحَّارُ

يُجْرِيهِ نبعٌ من الإلهامِ زَخَّارُ

فيه تَنَفَّسُ فوقَ السُّحبِ آلهةٌ

وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثُوَّارُ

له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ

خَمْرٌ أباريقُها شتَّى وأثمارُ

أشتفُّهُ وأُنادي كلَّ ناحيةٍ

مَنِ الْمُغَنِّي وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

السمفونيَّة هذى ! أم صدى حُلُمٍ
كما تَجاوبُ خلفَ الليلِ أطيارُ !
أعادَ للمِعْزَفِ المهجورِ صاحبُهُ
فعربدتْ فى يديهِ منهُ أوتارُ !
أظَلُّ أصْغى وما من شُرْفةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِتاجَ البابِ ديَّارُ
حتى الحديقةُ لَفَّتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نَبْتٌ وأحجارُ
تواضعتْ بجلالِ الفنِّ ما ارتفعتْ
مثلَ البروجِ لها فى الجوِّ أسْوارُ
تُصْغى إلى هَمَسَاتِ الريحِ شيِّقةً
كأنما همساتُ الريحِ أخبارُ !

هنيهةً ، ثمَّ سمعنا هاتفاً مردِّدَا
يقولُ : قُمْ « يا سِجْفريدُ » ، فالصَّباحُ قد بدا
عرائسُ الوادى ألَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قُمِ انفضِ الكَرَى ، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منضورَ الصِّبا مُخلَّدا
خُذْ سيفكَ السحرىَّ صِيغَ جوهراً وعسجدا

قـــد لَقِيَ التنِّينُ منه فى العـــشـــيَّةِ الرَّدَى
صــــوتٌ مـعَ الـريـحِ سَرَى .. ، وللسكونِ أخلدا
فـأمْسَكَتْ صــاحــبــتى يدى وحــاطتْ بى يدا
تقـولُ : لم أسـمـعْ كـهـذا اللحن أو هـذا الصَّدَى
قـلـتُ : ولا بمـثـلـهِ شــــــادٍ عـلـى الـدهـرِ شَدَا

قــد باحَ بالنَّغَمِ الموعــودِ قــيــثــارُ
فــالفــجــرُ أحــلامُ عُشَّاقٍ وأســرارُ
صــــحـــا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرُها
موجٌ على الشاطىء الصخرىِّ ثرثارُ
وزحـزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البُحــيــرة أعــشــابٌ وأزهارُ
تُســائلُ الماءَ : هل غَنَّتْهُ أو عَبَــرتْ
شُهْبٌ بِهِ مـسـتـحـمـاتٌ وأقـمـارُ ؟
يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغِيةٌ
فأينَ من « سچفريدَ » السيفُ والغارُ ؟
مـا زالَ فوقَ ندىِّ العشبِ مضجعُهُ
وَمِنْ يديه على الأغــصــانِ آثارُ
هذا النشيدُ ، نشيدُ الحبِّ ، تَعزِفُهُ
له عـــرائسُ ، مِثْلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتَــهنَّ من الأنغــام أجنحـــةً

هـزيـزهـنَّ مَعَ الأفـــــــلاكِ دوَّارُ

فى صــدرِ قــيـثــارةٍ أودعْتَهُ نَغَمــاً

مِزاجُهُ الماءُ والإعــصــارُ والنارُ

تُفْضِي بما شئْتَ من أسرارِ عالمها

فــيـــهِ ليــالٍ ، وأيامٌ ، وأقــدارُ

حــتى الطبـيـعــةُ من ناسٍ وآلـهـةٍ

تمازجتْ فـهـىَ ألحــانٌ وأشــعـارٌ !

✍ ✍ ✍

٢٥ - اللّه والشاعر

● لا تفــزعي ، يا أرضُ ، لا تَفْرقي
مــن شَبَحٍ تحــتَ الــدُّجى عـــابرِ
مـــــا هــوَ إلاَّ آدمــيٌّ شـــــقِي
ســـمَّوْهُ بين النــاسِ بالشـــاعـــرِ

● حنانَكِ الآنَ ، فـــلا تُنكرِي
ســبـــيلَهُ في لـيلكِ العــابسِ
ولا تُضـلِّيـــــهِ ، ولا تـنْفـــــرِي
مِنْ ذلكَ المســتـصــرخِ البــائسِ

● مُـدِّي لعـينيـهِ الرِّحـابَ الفِسـاح
ورقـــرقي الأضـــواءَ في جـــفـنـه
وأمـــسكي ، يا أرضُ ، عــصْفَ الرياحْ
والـرَّاعـــــدَ المُنـصـبَّ فـي أذنــه

● أنـتِ لــهُ ، يـــا أرضُ ، أمٌّ رؤوم
فـــأشْهــــدِي الكونَ على شِقْوَتِهْ
وردِّدي شـكـواهُ بـينَ الــنجـــــومْ
فـــهـــوَ ابنُكِ الإنســـانُ فـي حَيْرتِهْ

- مــــا هـوَ إلاّ صــــوتُك المُرْسَلُ
وروحُكِ المســـــتـــعـــــبَدُ المُرْهَقُ
قـــــد آدَهُ الـدهـرُ بمـا يَحـــــملُ
فـــــجـــــاءَ عـنْ الامــــــهِ يَنطِقُ ؟

- طغَى الأسـى الدَّاوي على صــوتِهِ
يـا لـلـصدَى مـن قـلـبــــــهِ الـنَّاطـقِ
مــــضـى يبثُّ الـدهـرَ فـي خـــفْتهِ
شـكـايـةَ الخَلْقِ إلـى الخــــــالـقِ

- حـنانـكَ اللـهمَّ ، لا تـغــضـبِ
أنتَ الجـمــيلُ الصــفحِ ، جمُّ الحنانْ
مـــــــا كـنـتُ فـي شـكـوايَ بـالـذنـبِ
ومـنكَ ، يـاربِّ ، أخـــــذتُ الأمــــانْ

- مـــا أنا بالزاري ولا الحــاقــدِ
لكـنـنـي الشّاكي شــــقـــاءَ الـبـــشَرْ
أفنيتُ عـــمـــري في الأسى الخـــالدِ
فــجــئتُ أسـتــوحـيكَ لُطْفَ القــدَرْ

- تمـرَّدتْ روحـي على هـيكـلي
وهـيكلُ الجـــسـمِ كـــــمــــا تـعلمُ

ذاكَ الضـــعـــيفُ الرأيِ لم يفـــعلِ
إلاَّ بما يـوحـي إليـــــــهِ الـدمُ !

- يَعـرَقُ حـدُّ السَّيْفِ مـن لحـمـهِ
ويـحـطـمُ الصَّفــــوانُ بـنيـــــانَهُ
وينـخــــرُ الجــــرثومُ في عظمــــهِ
ومـنهُ يُنْمـي الـقـــــبــــرُ ديدانَهُ !

- مـــا هوَ إلاَّ كـــومـــةٌ من هبـــاءْ
تمحـــقـــهُ اللمـــســـةُ من غَضـــبـــتِكْ
فكيفَ يثني الروحَ عـــمـــا تَشـــاءْ ؟
وكـــيف يقـــوي ؟ وَهْيَ من قـــدرتِكْ ؟

- يا للشـــقيِّ القلب كمْ ســـامَهُ
توهُّم النعـــمـــةِ مـــا لا يُطيقْ
يُريـــدُ أنْ يُقـــنـــعَ أوهـــامَهُ
بـــأنـــهُ ذاكَ الخـــليُّ الـطـلـيـقُ

- هـــأنـــذا أرفـــعُ آلامـــهُ
إلـى ســـمـــاءِ المنقـــذِ الأعظـم
أنـا الـذي تُرسـلُ أنـغـــــامَهُ
قـــيـــثـــارةُ القلب ، ونـايُ الفـم

- من عبراتي صُغتُ هذا المقالْ
ومن لهيبِ الروحِ هذا القلَمْ
ملأتُ منهُ صفحاتِ الليالْ
فضُمِّنَتْ كلُّ معاني الألَمْ

- أنا الذي قدَّسْتَ أحزانَهُ
الشاعرُ الباكي شقاءَ البشَرْ
فَجِّرْتَ بالرحمةِ ألحانَهُ
فاملأ بها ، ياربِّ ، قلبَ القدَرْ !

- ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونِه
إلاَّ يدُ الرحمةِ من ربِّه
مُعَزِّيَ العالمِ في حزنِه
وحاملُ الآلامِ عنْ قلبِه

- عزاؤهُ شعرٌ بهِ أهْزَجُ
في نَغَمٍ مستعذَبٍ ساحرِ
ما يَحْزَنُ العالَمُ أو يُبهجُ
إلاَّ على قيثارةِ الشاعرِ

- ياربِّ ، ما أشقيتني في الوجود
إلاَّ بقلبي : ليتهُ لم يَكُنْ

فـي المـثـل الأعـلـى وحبٍّ الخـلـودْ
حـمّلتـهُ الـعبءَ الـذي لـم يَهُنْ

- خلقـتـهُ قلبـاً رقـيقَ الشّغافْ
يهـيمُ بـالنورِ ويَهْوى الجـمـالْ
حلّتْ لَهُ الـنجـوى ولـذّ الـطـواف
بعـالمِ الحـسنِ ودنيـا الخـيـالْ

- بَعَثْتَهُ طيـراً خـفـوقَ الجنـاحْ
عـلـى جنـانٍ ذاتِ ظـلٍّ ومـاءْ
أطلقـتـهُ فـيـهـا قُبَيْلَ الصـبـاحْ
وقلتَ : غنِّ الأرضَ لحنَ السـمـاءْ

- فـهـامَ في آفـاقـهـا الواسعَةِ
النُّورُ يـهـفـو حـولَهُ والنَّدَى
مُصـفِّقـاً للضّحْوَةِ السـاطعَةْ
ومُنشِداً مـا شـاءَ أنْ يُنشـدا

- إنْ جـاءَ صـيفٌ أو تجلّى ربيعْ
حـيّاهُ منهُ عـبـقـريُّ الغناءْ
وكم خـريفٍ في نشـيـدٍ بديعْ
تظلُّ ترويهِ ليـالي الشـتـاءْ

- قيثارةٌ تصدرُ في فنِّها
عن عالمِ السِّحرِ ودنيا الخفاءْ
على الصَّدَى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءْ

- مَشتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرة
كأنَّما ترقُص أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمِرة !

- من قلبه أسلَمْتَ أوتارَها
فقلبُهُ يخفقُ في كفِّهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه ، فهيَ اللحنُ من عزفِهِ

- ذاتَ صباحٍ طارَ لا يُمْهِلُ
والأرضُ سكَرى من عبيرِ الزهورْ
على حصاها رنَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورْ

- ما كانَ يدري قبلَ أن ينظُراَ
ما خَبَأتْهُ النظرةُ العاجلة

مـــــا أبدعَ الحلمَ الذي صــــوَّرا
لوْ لَمْ تَشُبْهُ اليــــقْظَةُ القـــــاتلة !

- مــرَّ بنهــرٍ دافــقٍ سلســبيلْ
تهــفــو القــمَارى(١) حــولَهُ شــاديَهْ
في ضــفــتــيــهِ باســقــاتُ النخــيلْ
ترعى الشــيـــاهُ تحـــتَهـــا ثاغيَة

- فــهـــاجــتِ النظـرةُ ممــا رأى
في قلبــهِ الســحــرَ وفي عــينهِ
الكونُ يبـــدو وادعـــاً هــانئـــاً
كــــأنـهُ الفــــردوسُ فـي أمـنـهِ

- فظلَّ في التـفكيـر مــسـتـغـرقـاً
من فــتنةِ الدنيـــا وَمِنْ ســحـــرِهـا
مـــا كـــانَ إلاَّ ريثـــمـــاً حـــدَّقـــا
حـــتى جلَتْ دنيـــاهُ عن ســـرِّهـا

- رأى بعــينيــهِ الذي لــم يــرَهْ
الذئبَ ، والشـــاةَ ، وحـــربَ البـــقـــاءَ

---

(١) القُمْرِيُ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مـــا عَرَفَ القـــتلَ ولا أبصـــرهْ
ولا رأى مـن قَبْلُ لـونَ الـدمـــــاءْ !

- مـــا هى إلاَّ صـرَخَاتُ الفـزَعْ
وصـيــحـــةُ المقـتــولِ والقــاتلِ
قـــدِ انقـــضى الأمـــرُ كـــأنْ لمْ يَقَعْ
وضـــاعَ صـــوتُ الحقِّ في البـــاطلِ

- وبعـدَ سـاعــاتٍ يُوَلِّي النهــارْ
ويقـــبلُ الليلُ ، ومـــا يعلمُ !!
ســيلبثُ الســرُّ وراءَ الســتــارْ
ويـخـتــفي الشّــلْوُ ويُمــحي الدمُ !!

- يا ارضُ ، ولِّى عــهــدُ نوحٍ وزالْ
فَمَنْ لكِ اليـــومَ بطـوفــــانه ؟
مــسكينةٌ تطوينَ بحــرَ الليــالْ
قـــد عـــزَّكِ المرسى بشطئـــانه !

- إلامَ تطوينَ عُبـــابَ السنينْ
شـــوقــاً إلى فـــردوسكِ الضـــائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يـــا أرضُ بمـــا تحــلــمــينْ
فـاسـتـيـقظي من حلمكِ الخــادعِ !!

- وابقي كما أنتِ على موجِهِ
تُمَزِقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذفُكِ التيار في لجُه
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

- سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةٍ تصغى إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

- يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرض وليلِ الهمومْ
تُمسونَ أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيْري فوقَكم والنجوم !

- فابتهلي للَّهِ ، واستغفري
وكفِّرى عنكِ بنارِ الألمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يَديْه عَبَراتِ النَّدَمْ !!

✍ ✍ ✍

المحتويات

القصيدة	صفحة

القصيدة	صفحة

رقم الإيداع ٥٧٤٩ / ٩٦

I. S. B. N 977-01-4811-3





مكتبة الأسرة



بسعر رمزي جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦



مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب